السنة الثانية ١٤٠٢هـ جمادى الآخرة (١٥)

دعوة الحق
سلسلة شهرية
تصدر مع مطلع كل شهر عربي

تاريخ القرآن الكريم

تأليف

الدكتور محمد سالم محيسن

بسم الله الرحمن الرحيم

المقــــــدمة

الحمد لله الذي نزل القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان . والصلاة والسلام على نبينا (محمد) الذي أيده الله تعالى بالقرآن ، وتحدى به جميع الإنس والجان ، فقال عز من قائل :

« قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا »(١) .

« وبعــــد »

فإن المصنفين لتاريخ القرآن ــ جزاهم الله خيراً ــ قد أسهموا بقدر في الكتابة عن هذا التراث الجليل وفقاً لأهداف معينة لدى كل واحد منهم .

وقد رأيت أن أسهم بقدر ما أستطيع في تجلية بعض جوانب هذه القضايا ، استكمالا لما قدمه السابقون .

فالمصنفات ما هي إلا حلقات متصلة يكمل بعضها بعضاً .

فقمت بإعداد هذا الكتاب وسأجعله إن شاء الله تعالى في ثلاثة فصول :

الفصل الأول : عن تنزيل القرآن .

الفصل الثاني : عن تقسيمات القرآن .

الفصل الثالث : عن كتابة القرآن .

---

١ ــ الاسراء آية ٨٨

وختاماً أسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لذاته ، وأن ينفع به المسلمين ، وبخاصة المشتغلين بالدراسات القرآنية .

كما أسأله عز وجل أن يغفر لي الزلات ، ويعفو عن الهفوات ، فكل بني آدم خطاء ولا عصمة إلا للأنبياء ، انه سميع الدعاء .

وصل اللهم على نبينا « محمد » وعلى آله وصحبه وسلم آمين .

المدينة المنورة ربيع الآخر سنة ١٤٠١ هـ

د. محمد سالم محيسن

تاريخ القرآن الكريم

وفيه ثلاثة فصول

وقبل الدخول في الحديث عن فصول هذا الباب نريد أن نقف على أمرين مهمين وهما :

الأول : تعريف القرآن .

الثاني : أسماء القرآن .

اولا : تعريف القرآن الكريم

القرآن في اللغة :

مصدر مرادف للقراءة ، ومنه قوله تعالى :

« إن علينا جمعه وقرآنه ۝ فإذا قرأناه فاتبع قرآنه » (١) أي قراءته(٢) .

وفي الاصطلاح :

هو كلام الله تعالى المنزل على نبينا « محمد » صلى الله عليه وسلم ، المكتوب في المصاحف ، المنقول إلينا نقلا متواتراً ، المتعبد بتلاوته ، المتحدي بأقصر سورة منه(٣) .

---

١ ـ سورة القيامة ١٨ـ١٩

٢ ـ انظر المعجم الوسيط ج ٢ : ٧٢٢ ط القاهرة .

٣ ـ ارشاد الفحول ص ٢٩ ط القاهرة .

فخرج بقولنا : المنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، عن سائر الكتب السماوية .

وبقولنا : المكتوب في المصاحف ، عن الأحاديث القدسية ، والنبوية .

وبقولنا : المنقول إلينا نقلا متواتراً الخ : عن القراءات الشاذة .

ثانيا : أسماء القرآن الكريم

لقد اختص الله تعالى « القرآن الكريم » دون سائر الكتب السماوية بعدة أسماء .

وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على شرفه وعلو منزلته .

ولقد أطنب بعض العلماء في ذكر أسماء القرآن ، وذلك بجعل الأوصاف الواردة في القرآن أسماء له .

حتى أن بعضهم أوصلها إلى نيف وتسعين إسماً (١) ولكني لن أذكر إلا الأسماء التي يدل عليها لفظ القرآن دلالة صريحة وهي :

١ – القرآن : قال الله تعالى :

« شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن »(٢) .

٢ – الفرقان : قال تعالى :

« تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً »(٣) .

---

١ – انظر : البرهان للزركشى ١/٢٧٣ .
ولطائف الارشارات للقسطلانى ١/١٨–١٩ .
ومع القرآن الكريم للدكتور شعبان محمد اسماعيل ص ١٧ .
٢ – سورة البقـرة / ١٨٥ .
٣ – سورة الفـرقان / ١ .

٣ ـ الكتاب : قال تعالى :

« ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين »(١) .

٤ ـ الذكر : قال تعالى :

« إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون »(٢) .

٥ ـ الوحي : قال تعالى :

« قل إنما أنذركم بالوحي »(٣) .

٦ ـ الروح : قال تعالى :

« وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا »(٤) .

---

١ ـ سورة البقرة / ٢ .
٢ ـ سورة الحجر / ٩ .
٣ ـ سورة الأنبياء / ٤٥ .
٤ ـ سورة الشورى / ٥٢ .

الفصل الأول

تنزيل القرآن الكريم

سأتحدث في هذا الفصل عن القضايا الآتية :

(أ) تنزيل القرآن .

(ب) الحكمة من نزول القرآن منجماً .

(جـ) بيان أول ما نزل منه .

(د) بيان آخر ما نزل منه .

(هـ) فوائد معرفة ترتيب نزول القرآن .

وإليك تفصيل الكلام عن هذه القضايا .

القضية الأولى :

تنزيل القرآن الكريم : من يمعن النظر في الآيات القرآنية يمكنه أن يستنبط من ذلك أن تنزيل القرآن مر بمرحلتين :

• الأولى : نزوله دفعة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في سماء الدنيا .

قال الله تعالى :

« بل هو قرآن مجيد . في لوح محفوظ »(١) .

---

١ ـ سورة البروج ٢١ـ٢٢ .

هاتان الآيتان تفيدان أن القرآن كان موجوداً في اللوح المحفوظ ، وفقا لكيفية مخصوصة لا يعلمها إلا الله تعالى .

وليس لنا أن نسأل عن تلك الكيفية ، ولا عن مبدأ وجودها .

فما علينا إلا أن نؤمن بذلك ونصدقه ، وهذا من جملة الإيمان بالغيب الذي لا يؤمن به إلا المتقون .

قال « ابن عباس » ت ٦٨ هـ رضي الله عنهما :

خلق الله اللوح المحفوظ كمسيرة مائة عام ، ثم قال الله تعالى للقلم قبل أن يخلق الخلق :

اكتب علمي في خلقي ، فجرى ما هو كائن إلى يوم القيامة ا هـ (١) .

وكان هذا التنزيل في شهر رمضان — ليلة القدر ، الموصوفة بأنها ليلة مباركة .

قال الله تعالى :

« شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان »(٢) .

وقال تعالى :

« إنا أنزلناه في ليلة القدر »(٣) .

---

١ — انظر تفسير الشوكانى ٥ـ٤١٧ ط القاهرة .
٢ — سورة البقرة — ١٨٥ .
٣ — سورة القـدر — ١ .

وقــال :

« إنا أنزلناه في ليلة مباركة »(١) .

فهذه الآيات الثلا ث مجتمعة تفيد أن القرآن أنزل دفعة واحدة في شهر رمضان ، في ليلة القدر ، الموصوفة بأنها ليلة مباركة .

وهذا القول هو أصح الأقوال وأشهرها (٢) .

فقد أخرج الحاكم والبيهقي وغيرهما عن « سعيد بن جبير » ت ٥٩ هـ . عن « ابن عباس » قال :

« أنزل القرآن في ليلة القدر جملة واحدة إلى سماء الدنيا ، وكان بمواقع النجوم ، وكان الله ينزله على رسوله صلى الله عليه وسلم بعضه في إثر بعض»(٣) .

وأخرج الحاكم والبيهقي أيضاً ، والنسائي عن « عكرمة » عن « ابن عباس » قال : « أنزل القرآن في ليلة واحدة إلى السماء الدنيا ليلة القدر ، ثم أنزل بعد ذلك بعشرين سنة ، ثم قرأ : :

« ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً »(٤) « وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا »(٥) .

وأخرج الحاكم ، وابن أبي شيبة عن « سعيد بن جبير » عن « ابن عباس »

---

١ ـ سورة الدخــان ـ ٢ .
٢ ـ انظر : الاتقان ١ـ١١٦ .
٣ ـ انظر : الاتقــان ١ـ١١٦ .
٤ ـ سورة القيامة ١٨ـ١٩ .
٥ ـ ســورة الاســراء ـ ١٠٦ .

قال : « فصل القرآن من الذكر فوضع في بيت العزة من السماء الدنيا ، فجعل جبريل ينزل به على النبي صلى الله عليه وسلم »(١) .

وأخرج الطبراني عن « ابن عباس » قال :

« أنزل القرآن في ليلة القدر في شهر رمضان إلى سماء الدنيا جملة واحدة ، ثم أنزل نجوماً »(٢) .

وأخرج الطبراني عن « ابن عباس » أيضاً أنه قال :

« أنزل القرآن جملة واحدة حتى وضع في بيت العزة في السماء الدنيا ، ونزله جبريل على « محمد » صلى الله عليه وسلم بجواب كلام العباد وأعمالهم (٣)

فهذه الأحاديث كلها صحيحة كما ذكر السيوطي ت ٩١١ هـ وهي موقوفة على « ابن عباس » غير أن لها حكم الأحاديث المرفوعة ، ويصح الاحتجاج بها .

وقيل : إن معنى قوله تعالى :

« **إنا أنزلناه في ليلة القدر** » الآية .

أنه ابتدى إنزال القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة القدر ، الموصوفة بأنها ليلة مباركة ، وذلك في شهر رمضان ، ثم نزل بعد ذلك منجماً ، وبه قال « الشعبي »(٤) .

قال « ابن حجر » في شرح البخاري :

« والأول هو الصحيح المعتمد »(٥) .

---

١ ـ انظر : الاتقان ١ـ١١٧ .
٢ ـ انظر المصدر السابق .
٣ ـ انظر الاتقان ١ـ١١٨ .
٤ ـ المصدر السابق
٥ ـ انظر المصدر السابق

• المرحلة الثانية :

نزوله منجماً على النبي صلى الله عليه وسلم في ثلاث وعشرين سنة خلال مدة بعثته صلى الله عليه وسلم ، موزعاً على الحوادث . والدليل على ذلك قوله تعالى :

« وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا »(١) .

وقوله تعالى :

« وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا »(٢) .

فهاتان الآيتان تدلان دلالة واضحة على أن القرآن لم ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم دفعة واحدة ، وإنما نزل منجماً حسب الوقائع والأحداث .

القضـية الثانيـة :

الحكمة من نزول القرآن منجماً :

بعد أن بينت أن القرآن نزل على النبي صلى الله عليه وسلم مفرقاً خلال مدة بعثته عليه الصلاة والسلام . أخالني أجد سؤالا يفرض نفسه وهو :

فإن قيل : ما هي الحكمة من نزول القرآن منجماً ؟ أقول :

هذا السؤال قد تولى الله سبحانه وتعالى الجواب عنه وأشار إليه بقوله :

---

١ ـ سورة الفرقان ـ ٣٢ .
٢ ـ سورة الاسراء ـ ١٠٦ .

« وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك »(١) .

وبقـــوله :

« وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا »(٢) .

فهاتان الآيتان ترشدان إلى الحكمة من نزول القرآن مفرقاً .

وإليك بعض الحكم والأسرار من ذلك :

الحكمة الأولى :

تثبيت فؤاد النبي صلى الله عليه وسلم ، وتقوية قلبه ، كما أشار إليه قوله تعالى :

« لنثبت به فؤادك » .

وذلك من وجوه خمسة :

الوجــه الأول :

إن في تجدد الوحي وتكرار نزول الملك به من جانب الله تعالى إلى رسوله عليه الصلاة والسلام ، سروراً يملأ قلب الرسول ، وغبطة تشرح صدره .

وكلاهما يتجدد عليه بسبب ما يشعر به من هذه العناية الإلهية ، وتعهد مولاه إياها في كل نوبة من نوبات هذا النزول .

١ ـ سورة الفـرقان ـ ٢٢ .
٢ ـ ســورة الاســراء ـ ١٠٦ .

الوجـه الثاني :

إن في التنجيم تيسيراً من الله تعالى في حفظ القرآن وفهمه ، ومعرفة أحكامه وحكمه ، وذلك مطمئن للنبي صلى الله عليه وسلم .

كما أن فيه تقوية لنفسه الشريفة على ضبط ذلك كله .

الوجـه الثالث :

إن في كل مرة من مرات هذا النزول المنجم معجزة جديدة له صلى الله عليه وسلم .

حيث كان عليه الصلاة والسلام يتحدى المعاندين والمعارضين كل مرة أن يأتوا بمثل هذا القرآن ، فظهر عجزهم عن المعارضة ، وثبت صدقه عليه الصلاة والسلام ، وهذا بلا ريب فيه تثبيت لقلب النبي صلى الله عليه وسلم .

الوجـه الرابع :

إن في تأييد النبي عليه الصلاة والسلام ، ودحض باطل أعدائه ، المرة بعد الأخرى ، تكراراً لتثبيت فؤاد النبي صلى الله عليه وسلم .

الوجـه الخامس :

تعهد الله نبيه عند اشتداد الخصومة بينه وبين أعدائه بما يهون عليه هذه الشدائد ، ولا ريب أن تلك الشدائد كانت تحدث في أوقات متعددة .

فلا جرم كانت التسلية تحدث هي الأخرى في مرات متكافئة .

فكلما أحرجه خصمه ، سلاه ربه .

وتجيء تلك التسلية تارة عن طريق قصص الأنبياء والمرسلين السابقين كما قال تعالى :

« وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك »(١) .

وتارة تكون التسلية عن طرية وعد الله لرسوله بالنصر والتأييد والحفظ ، كما في قوله تعالى :

« واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا »(٢) .

وقــوله :

« والله يعصمك من الناس »(٣) .

وتارة تكون التسلية عن طريق إنذار أعدائه كما في قوله تعالى :

وقــوله : **« سيهزم الجمع ويولون الدبر »(٤) .**

« فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود »(٥) .

وتارة ترد التسلية في صورة الأمر بالصبر ، كما في قوله تعالى :

« فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل »(٦) .

وتارة تكون في صورة النهي عن التفجيع والحزن على عدم إيمانهم ، كما في قوله تعالى :

---

١ ـ ســورة هــود ـ ١٢٠ .
٢ ـ ســورة الطــور ـ ٤٨ .
٣ ـ ســورة المائــدة ـ ٦٧ .
٤ ـ ســورة القمــر ـ ٤٥ .
٥ ـ سورة فصــلت ـ ١٣ .
٦ ـ سورة الأحقــاف ـ ٣٥ .

« فلا تذهب نفسك عليهم حسرات »(١) .

وقـــوله :

« واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عايهم ولا تك في ضيق مما يمكرون »(٢) .

ومنها : أن يؤيسه صلى الله عليه وسلم من إيمانهم ليستريح ويتسلى عنهم .

كما في قوله تعالى :

« وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبتغي نفقاً في الأرض أو سلماً في السماء فتأتيهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين »(٣) .

الحكمة الثانية :

التدرج في تربية الأمة الإسلامية التي لا زالت ناشئة ، ويندرج تحت ذلك الأمور السبعة التالية :

---

١ ـ سـورة فاطـــر ـ ٨ .
٢ ـ سـورة النحـــل ـ ١٢٧ .
٣ ـ سورة الانعام ٣٥ ، وانظر في هذا المراجع الآتية :
ـ المرشد الوجيز ـ٢٧ ، ٢ ـ الاتقان ١ـ١٢١
ـ مناهل العرفان ١ـ٣٩ ، ٤ ـ من علوم القرآن ـ٣٣ـ٣٤
ـ مع القرآن الكريم ـ٦٦ـ٦٩

الأمر الأول :

تيسير حفظ القرآن لأن ظروفهم كانت لا تمكنهم من ذلك لو نزل عليهم جملة واحدة .

الأمر الثاني :

التدرج بالأمة في فهم القرآن ، ونزوله منجماً يسهل عليهم ذلك حيث يتمكنوا من استيعابه .

الأمر الثالث :

التدرج بهم في تكليفهم بالواجبات من الصلاة – والصيام – والجهاد – وغير ذلك من سائر أنواع العبادات والمعاملات .

الأمر الرابع :

التدرج بهم في تطهيرهم من العقائد الباطلة مثل الشرك بالله تعالى – وجحود البعث – وإنكار أن يكون لله رسول من البشر .

الأمر الخامس :

التدرج بهم في تطهيرهم من العادات القبيحة التي توارثوها ، ودرجوا عليها وتأصلت في نفوسهم ، حيث كان من المتعذر عليهم تركها مرة واحدة .

وذلك مثل : شرب الخمر – وأكل الربا ، ونحو ذلك .

الأمر السادس :

التدرج بهم في تكميلهم بالعادات الحميدة ، والفضائل الكريمة .

مثل : الصفح ــ والحلم والإيثار ــ ورعاية الجوار ، إلى غير ذلك(١) .

ولهذا نجد القرآن قد بدأ بفطامهم عن الشرك والإباحة ، وإحياء قلوبهم بعقائد التوحيد والجزاء ، من جراء ما فتح عيونهم عليه من أدلة التوحيد ، وبراهين البعث بعد الموت وحجج الحساب والمسئولية والجزاء .

ثم نجد القرآن قد انتقل بهم بعد هذه المرحلة إلى العبادات ، فبدأهم بفريضة الصلاة قبل الهجرة النبوية .

ثم ثنى بالزكاة والصوم في السنة الثانية من الهجرة .

وختم بالحج في السنة السادسة منها .

وكذلك كان شأنه في سائر العبادات :

ــ نجده قد زجرهم عن الكبائر ، وشدد عليهم النكير فيها .

ــ ثم نهاهم عن الصغائر في شيء من الرفق .

ــ ثم تدرج بهم في تحريم ما كان مستأصلا فيهم ، مثل شرب الخمر تدرجاً حقق الغاية ، وأنقذهم من شرها في النهاية .

وكان القرآن في انتهاج هذا التدرج أهدى سبيلا وأنجح تشريعاً .

الأمر السابع :

تثبيت قلوب المؤمنين وتسليحهم بعزيمة الصبر واليقين بسبب ما وعد الله به عباده الصالحين من النصر والتأييد والتمكين .

---

١ ــ انظر المرشد الوجيز ص ٢٩ .
ومن علوم القرآن ص ٣٢
ومع القرآن ص ٦٩ .
وتاريخ المصحف ص ٣٥ــ٤٠ .

كما في قوله تعالى :

« وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون »(١) .

الحكمة الثالثة :

مسايرة الحوادث والطوارىء في تجددها وتفرقها ، فكلما جد جديد نزل من القرآن ما يناسبه ، وفصل الله لهم من أحكامه ما يوافقه .

وتنتظم هذه الحكمة أموراً خمسة وهي :

• أولاها : إجابة السائلين عن أسئلتهم عند ما يوجهونها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم :

سواء أكانت تلك الأسئلة لغرض التثبت من رسالته ، كما قال الله تعالى في جواب سؤاله أعدائه إياه :

« ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا »(٢) .

وقـــوله :

« ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكراً »(٣) .

---

١ ــ سـورة النـور ٥٥
٢ ــ سـورة الاسـراء ــ ٨٥ .
٣ ــ سـورة الكهـف ــ ٨٣ .

إلى آخر الآيات في هذا الموضوع من سورة الكهف .

أم كانت الأسئلة لغرض التنور ومعرفة حكم جديد من أحكام الإسلام .

كما في قوله تعالى :

« ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو »(١) .

وقــوله :

« ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم »(٢).

ومما لا شك فيه أن تلك الأسئلة كانت توجه إلى النبي صلى الله عليه وسلم في أوقات مختلفة فهذا سبب واضح من أسباب تفريق النزول .

• ثانيهما : مجاراة الأقضية والوقائع في حينها ببيان حكم الله تعالى فيها عند حدوثها ووقوعها .

ومعلوم أن تلك الأقضية والوقائع لم تقع جملة واحدة ، بل وقعت في أوقات متغايرة ومتعددة .

فلا مناص إذن من فضل الله تعالى فيها بنزول القرآن الكريم .

والأمثلة على ذلك كثيرة ومتعددة فمنها :

١ ـ حادثة مرثد الغنوي الذي أرسله النبي صلى الله عليه وسلم إلى مكة ليخرج منها قوماً مسلمين مستضعفين ، فلما وصل إليهم عرضت امرأة مشركة نفسها عليه وكانت ذات مال وجمال فأعرض عنها خوفاً من الله تعالى .

---

١ ـ سورة البقرة ـ ٢١٩ .
٢ ـ سورة البقرة ـ ٢٢٠ .

ثم أقبلت عليه تريد زواجه منها فقبل ، ووقف زواجه منها على إذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما قدم المدينة عرض قضيته على رسول الله صلى الله عليه وسلم وطلب إجازة ذلك النكاح ، فنزل قوله تعالى :

« ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم »(١) .

٢ ـ حادثة « الوليد بن عقبة » أخي « عثمان بن عفان » لأمه حين بعثه النبي صلى الله عليه وسلم إلى « بني المصطلق » ليأخذ صدقاتهم وكان بينه وبينهم احن وعداوات ، فلما سمعوا به استقبلوه ، فحسب أنهم مقاتلوه فرجع إلى المدينة وقال للرسول صلى الله عليه وسلم .

إنهم ارتدوا ومنعوا الزكاة ، فهم الرسول بقتالهم ، فنزل قوله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين »(٢) .

٣ ـ ومنها : حادثة « خولة بنت ثعلب » التي ظاهر منها زوجها « أوس بن الصامت » .

ثم ندم على ما فعل وقال : « ما أظنك إلا قد حرمت علي » فشق ذلك عليها فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكت إليه وقالت :

« يا رسول الله إن لي منه صبية صغاراً ، إن ضممتهم إلي جاعوا ، وإن ضممتهم إليه ضاعوا » .

---

١ ـ سورة البقرة ٢٢١ .
٢ ـ سورة الحجرات ٦ .

فقال صلى الله عليه وسلم : « ما أراك إلا قد حرمت عليه » .

فاستقبلت السماء تشكو إلى الله تعالى .

فنزل قـوله :

« قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله ، والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير »(١) الآيات .

٤ ـ حادثة الإفك : وفيها اتهام المثل الأعلى للطهر والنزاهة « أم المؤمنين » عائشة الصديقة » وفيها نزلت الآيات من قوله تعالى :

« إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم » إلى قوله : « أولئك مبرءون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم »(٢) .

٥ ـ ومنها : حادثة « عويمر العجلاني وامرأته » .

وحادثة « هلال بن أمية وامرأته » .

اللتان كانتا سبباً في نزول آيات اللعان ، وهي قوله تعالى :

« واللذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين »(٣) إلى آخر الآيات .

---

١ ـ سورة المجادلة ١ .
٢ ـ سورة النور ١١ـ٢٦ .
٣ ـ سورة النور ٦ـ١٠ .

٦ – ومنها : حادثة فتنة اليهود التي أثاروها عندما حولت القبلة من جهة بيت المقدس ، إلى جهة المسجد الحرام .

وكان ذلك بعد الهجرة إلى المدينة المنورة بسبعة عشر شهراً تقريباً ، فنزلت الآيات من قوله تعالى :

« سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها »(١) . إلى قوله تعالى : « ولعلكم تهتدون »(٢) .

* ثالثها : الشبه التي كانت تختلج في صدور المشركين ، ومن أمثلتها والرد عليها : ما حكاه الله عنهم في قوله تعالى :

« وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلماً وزوراً . وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا »(٣) إلى قوله : « فضلوا فلا يستطيعون سبيلا »(٤) .

* رابعها : لفت أنظار المسلمين إلى أغلاطهم، وردهم إلى الصواب .

وذلك نحو الآيات المتعلقة بغزوة « أحد » في قوله تعالى :

« ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه »(٥) .

إلى آخر الآيات(٦) .

ونحو الآيات المتعلقة بغزوة حنين في قوله تعالى :

---

١ – سورة البقرة ١٤٢ .
٢ – سورة البقرة ١٤٥ .
٣ – سورة الفرقان ٤ـ٥ .
٤ – سورة الفرقان ٩ .
٥ – سورة ال عمران ١٥٢ .
٦ – سورة ال عمران ١٦٠ .

« ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً »(١) .

إلى قوله تعالى :

« والله غفور رحيم »(٢) .

وهذه الآيات تنعي على المسلمين ثقتهم بأنفسهم ، واعتزازهم بقوتهم ، وتذكرهم بنعم الله عليهم ، بإنزال الطمأنينة ، والأمن في قلوبهم ، وإنزال الملائكة لنصرتهم ثم تهيب بهم أن يثوبوا إلى رشدهم ، ويرجعوا لربهم .

ومن ذلك :

موقف المسلمين إزاء أسرى « بدر » وقبولهم الفداء وإطلاق سراحهم .

ثم عتاب الله لهم على هذا التصرف ، وإرشادهم إلى المحجة ، وذلك في قوله تعالى :

« ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض »(٣)

إلى قوله : « إن الله غفور رحيم »(٤) .

وهذه الآيات تؤنبهم على إيثار الدنيا على الآخرة ، وترشدهم إلى ما كان يجب أن يعمل .

خامسها : كشف حال المنافقين ، وهتك أسرارهم للنبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين .

---

١ ـ سورة التوبة ٢٥ .
٢ ـ سورة التوبة ٢٦ .
٣ ـ سورة الأنفال ٦٧ .
٤ ـ سورة لأنفال ٦٩ .

وسورة التوبة مفعمة بالآيات الشديدة اللهجة في التشنيع على المنافقين ، والتشهير بهم ، وسرد مثالبهم ، وتعداد قبائحهم .

وفي القرآن الكريم ــ غير ما في سورة التوبة ــ كثير من الآيات التي فضح الله فيها سرائر المنافقين ، وأطلع المسلمين على دسائسهم ، وإفسادهم ، ليكونوا دائماً على حذر منهم فيأمنوا شرهم ، لأنهم أخطر على الإسلام من الكفار المجاهرين .

اقرأ إن شئت قول الله تعالى :

« الذين يتربصون بكم فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم »(١) إلى آخر الآيات (٢) .

واقرأ أيضاً سورة « المنافقين » .

واقرأ قوله تعالى :

« ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين »(٣) إلى قوله : « إن الله على كل شيء قدير »(٤)

تجد ثلاث عشرة آية فضحت المنافقين .

وهذه الحكمة الثالثة بمضامينها الخمسة قد أشارت إليها هذه الآية الكريمة :

« ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً »(٥) .

---

١ ـ سورة النساء ١٤١ .
٢ ـ سورة النساء ١٤٣ .
٣ ـ سورة البقرة ٨ .
٤ ـ سورة البقرة ٢٠ .
٥ ـ سورة الفرقان ٣٣ .

أنظر : في هذا : تاريخ المصحف ص ٣٠ـ٣٣ ، ومع القران الكريم ص ٧٢ـ٧٤ . وغيرهما من المصنفات التى تحدثت عن علوم القرآن مثل : من علوم القرآن للشيخ عبد الفتاح القاضى ، ومع القرآن الكريم للدكتور شعبان محمد اسماعيل ، وتاريخ القرآن للزنجانى ومناهل العرفان للزرقانى .

القضية الثالثة :

بيان أول ما نزل من القرآن الكريم على الإطلاق :

إن الكلام على هذه القضية لا مجال للعقل فيه لأنه مبني على التوقيف ، اللهم إلا بالترجيح بين الأدلة ، أو الجمع بينها فيما ظاهره التعارض منها .

وبالرجوع إلى المصادر(١) .

وجدت العديد من الآراء في بيان ما نزل من القرآن على الاطلاق ونظراً لأن معظم هذه الآراء تعتبر مردودة وغير مقبولة لضعفها حيث ينقصها التأييد بالأدلة الصحيحة فإنني لن أتعرض لتلك الآراء الضعيفة حيث لا فائدة منها سوى الاطناب غير المقيد .

وسأكتفي بذكر ما صح من تلك الأقوال وهما قولان :

القــول الأول :

إن أول ما نزل من القرآن مطلقاً : صدر سورة « العلق » وهو قوله تعالى :

« إقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم »(٢) .

وهذا القول يعتبر أصح الأقوال بإجماع جميع الكتاب .

وذلك لأنه مؤيد بالعديد من الأحاديث ، أذكر منها ما يلي :

---

١ ــ مثل البرهان للزركشي ت ٧٩٤هـ . والاتقان للسيوطي ٩١١هـ .
٢ ــ ســورة العلق ١ـ٥ .

١ ـ روى البخاري ومسلم(١) :

عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ت ٥٨ هـ أنها قالت :

« أول ما بديء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حبب إليه الخلاء ، وكان يخلو بغار حراء ، فيتحنث (٢) فيه الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ، ، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها ، حتّى جاءه الحق ، وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال : اقرأ : قلت : ما أنا بقاريء ، فأخذني فغطني (٣) حتّى بلغ مني الجهد (٤) .

ثم أرسلني ، فقال :

اقرأ ، قلت : ما أنا بقاريء ، فأخذني فغطني الثانية حتّى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال : اقرأ ، قلت : ما أنا بقاريء ، فأخذني فغطني الثالثة ، ثم أرسلني فقال :

« اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم » .

فرجع بها إلى خديجة يرجف فؤاده . . الحديث .

---

١ ـ واللفظ للبخارى .

٢ ـ التحنث : المراد به التعبد .

٣ ـ فغطنى : بفتح الغين وتشديد الطاء المفتوحة ، أى ضمنى ضما شديدا حتى كان لى غطيط وهو صوت من حبست انفاسه بما يشبه الخنق .

٤ ـ الجهد : بفتح الجيم : أى المشقة .

٢ — وصحح الحاكم في مستدركه ، والبيهقي في دلائله عن (عائشة) أيضاً رضي الله عنها قالت :

أول سورة نزلت من القرآن :

« اقرأ باسم ربك الذي خلق »(١) .

٣ — وصحح الطبراني في الكبير بسنده عن « أبي رجاء العطاردي » ت ١٠٥هـ .

قال : « كان أبو موسى الأشعري » ت ٤٤هـ (٢) يقرئنا فيجلسنا حلقا وعليه ثوبان أبيضان فإذا تلا هذه السورة : « اقرأ باسم ربك الذي خلق » .

قال : هذه أول سورة نزلت على « محمد » صلى الله عليه وسلم (٣) .

القـول الثاني :

ان أول ما نزل من القرآن اطلاقاً : صدر سورة « المدثر » .

---

١ — ومراد عائشة بالسورة صدرها لأن باقيها نزل فيما بعد .

٢ — هو : عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار اليمانى ، من خيرة الصحابة ومن شجعانهم الفاتحين ، أحد الحكمين اللذين بين «على» و «معاوية» بعد حرب صفين ، وكان من أطيب الصحابة صوتا بالقرآن . ت ٤٤ هـ على خلاف :
أنظر : الطبقات الكبرى ٤ـ١٥٠
وصفوة الصفوة ١ـ٢٢٥ ـ والاصابة ٢ـ٣٥٩ .

٣ — وأبو موسى يعنى صدر السـورة
أنظر : الاتـقان ١ـ٦٨ .
ومن علوم القرآن ص ١٩ .
ومع القرآن الكريم ص ٨٣ .

ودليل هذا القول ، ما رواه البخاري – ومسلم ، « عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف » ت ١٠٤هـ (١) أنه قال :

سألت « جابر بن عبد الله » ت ٧٨هـ أي القرآن أنزل قبل ؟

فقال : « ياأيها المدثر » فقلت أو : « اقرأ باسم ربك » ؟

وفي رواية : « نبئت أنه :

« اقرأ باسم ربك الذي خلق » .

فقال : أحدثكم ما حدثنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اني جاورت بحراء ، فلما قضيت جواري نزلت فاستبطنت الوادي »

زاد في رواية « فنوديت فنظرت أمامي وخلفي وعن يميني وعن شمالي ، ثم نظرت إلى السماء فإذا جبريل جالس على عرش بين السماء والأرض ، فأخذتني رجفة فأتيت خديجة فأمرتهم فدثروني ، فأنزل الله تعالى :

« يا أيها المدثر قم فأنذر » إلى : « والرجز فاهجر »(٢) .

ومن يمعن النظر في هذا الحديث يجده يتعارض مع حديث « أم المؤمنين عائشة » السابق والدال على أن أول ما نزل من القرآن صدر سورة « اقرأ » .

---

١ – هو أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى ، من التابعين كثير الحديث ، قيل اسمه : عبد الله ، وقيل اسماعيل ت ١٠٤هـ.
انظر : تهذيب التهذيب ١٢–١١٥ .

٢ – انظر الاتقان ١–٦٩
ومن علوم القرآن ١٩
ومع القرآن الكريم ١٨٣–١٨٤ .

وقد يمكن الجمع بين الحديثين فيقال :

بأن أول ما نزل على الإطلاق هو قوله تعالى : « اقرأ » . الآية .

وأن أول ما نزل بعد فترة الوحي هو قوله تعالى : «يا أيها المدثر» . الآية .

ويؤيد هذا التأويل ويقويه ما رواه الشيخان من طريق « الزهري » ، ت ١٢٤هـ (١).

عن « أبي سلمة بن عبد الرحمن » ت١٠٤هـ (٢) .

عن « جابر بن عبد الله » ت ٧٨هـ(٣) .

قال :

وسمعت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يحدث عن فترة الوحي فقال في حديثه :

(فبينا أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء فرفعت رأسي فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض ، فجئثت منه رعبا) . (٤)

فرجعت إلى أهلي فقلت دثروني دثروني ، فدثروني ، فأنزل الله تعالى : « يا أيها المدثر » إلى « والرجز فاهجر » قبل أن تفرض الصلاة » (٥) .

---

١ ـ هو : محمد بن مسلم بن عبيد الله ١٢٤هـ .

٢ ـ هو : أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ت ١٠٤هـ .

٣ ـ هو : جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الانصارى ت ٧٨هـ .

٤ ـ فجئثت منه : أى سقطت منه .

٥ ـ انظر : الاتقان ١ـ٦٩ـ٧٠
ومن علوم القرآن ٢٠
ومع القرآن الكريم ١٨٤ .

تعقيب واستنتاج :

مما تقدم يمكنني أن أقرر وأنا مطمئن أن أول ما نزل على الأطلاق قوله تعالى : « اقرأ » الآيات . وأن أول ما نزل بعد فترة الوحي قوله تعالى : « يا أيها المدثر » الآيات .

إذاً فصدر سورة المدثر يعتبر أولية مقيدة لا مطلقة .

القضية الرابعة :

بيان آخر ما نزل من القرآن على الإطلاق .

بعد البحث والرجوع إلى المصادر وجدت الكتاب نقلوا في ذلك « أحد عشر قولا » .

واستدلوا على كل قول بأثر أو أكثر .

ولكن المتفحص لهذه الآثار لن يجد فيها حديثاً واحداً مرفوعاً للنبي صلى الله عليه وسلم ، مما يوقع الإنسان في حيرة واضطراب .

إلا أن القاضي أبا بكر الباقلاني ت ٤٠٣هـ (١) أراد أن يهون من هول هذه المسألة فقال :

« هذه الأقوال ليس فيها شيء مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وكل ما قالوه ضرب من الاجتهاد وغلبة الظن » .

---

١ ـ هو : محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر ، ابوبكر الباقلانى من كبار علماء الكلام ، كان موصوفا بجودة الاستنباط ، وسرعة الجواب ، له عدة مؤلفات . توفى سنة ٤٠٣ هـ .
انظر : تاريخ بغداد ٥ـ٣٧٩
ووفيات الأعيان ١ـ٦٠٩ .

ثم يمضي فيقول :

« ويحتمل أن كلا منهم أخبر عن آخر بما سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم في اليوم الذي مات فيه ، أو قبل مرضه بقليل ، وغيره سمع منه ، بعد ذلك ، وإن لم يسمعه هو » .

ثم يقول :

« ويحتمل أيضاً أن تنزل الآية التي هي آخر آية تلاها الرسول صلى الله عليه وسلم مع آيات نزلت معها فيأمر برسم ما نزل معها بعد رسم تلك ، فيظن – بالبناء للمجهول – أنه آخر ما نزل في الترتيب » أ هـ (١) .

وبعد اعمال الفكر في هذه الأقوال مجتمعة وجدتّها تنقسم إلى قسمين :

* الأول :

أقوال تتحدث عن آخر الآيات نزولا وجملتها ثمانية أقوال .

* الثاني :

أقوال تتحدث عن آخر السور نزولا وجملتها ثلاثة أقوال : (٢)

وما دام الحديث مقصوراً على آخر الآيات نزولا ، فينبغي على كل باحث أو كاتب ألا يخلط بين هذين القسمين .

---

١ – أنظر : الاتقان ١–٨٠ ، ومع القرآن ١٩١ .

٢ – الأول : انها سورة (اذا جاء نصر الله والفتح) وهو مروى عن كل من ابن عباس – وابن عمر .
والثانى : انها سورة المائدة ، وهو مروى عن ابن عمر ، وعائشة .
والثالث : أنها سورة براءة ، وهو مروى عن عثمان بن عفان

لأن ذلك يعتبر ضرباً من عدم الدقة والتحري (١) .

لذلك فإن حديثي هنا سيكون مقصوراً على الأقوال الثمانية الواردة في آخر الآيات نزولا .

وبعد أعمال الفكر في هذه الأقوال الثمانية وجدتها تنقسم إلى قسمين أيضاً :

* الأول :

أقوال رويت عن أكثر من صحابي وجملتها ثلاثة أقوال .

* والثاني :

أقوال انفرد بروايتها صحابي واحد وجملتها خمسة أقوال .

وقبل الدخول في تفاصيل هذه الأقوال الثمانية ، نريد أن نتعرف على الصحابة رضي الله عنهم الذين نقلت عنهم هذه الآراء ، وجملتهم ستة . وسأذكرهم مرتبين حسب تاريخ وفياتهم :

الأول :

عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، أبو حفص القرشي ، الصحابي الجليل وثاني الخلفاء الراشدين ، قتل شهيداً سنة ٢٣هـ (٢) .

---

١ ـ انظر : الاتقان ١ـ٧٧ـ٨١ .
٢ ـ انظر : تاريخ الخلفاء ٤٠ ـ والطبقات الكبرى ٣ـ٢٦٥ . والاصابة ٢ـ٥١٨ ـ وغاية النهاية ١ـ٤٣٧ .

الثاني :

أبي بن كعب بن قيس بن عبيد الله ، أبو المنذر المدني ، الأنصاري ، من خيرة الصحابة ، ومن كتاب الوحي للنبي صلى الله عليه وسلم ت ٣٠هـ (١) .

الثالثة :

أم سلمة رضي الله عنها أم المؤمنين . وهي : هند بنت أبي أمية بن المغيرة ، القرشية المخزومية ت ٥٩هـ على خلاف . (٢)

الرابع :

معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي ، من كتاب الوحي للنبي صلى الله عليه وسلم ، ومؤسس الدولة الأموية ت ٦٠هـ (٣) .

الخامس :

البراء بن عازب بن الحارث ، أبو عمارة الأوسي ، الصحابي الجليل شهد خمس عشرة غزوة ت بالكوفة ٦٢هـ (٤) .

السادس :

عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم ، أبو العباس ، من خيرة الصحابة ومن المحدّثين ت ٦٨هـ (٥) .

---

١ ـ انظر : صفوة الصفوة ١ـ١٨٨ والاصابة ١ـ٧٩ وغاية النهاية ١ـ٣١ وتهذيب التهذيب ١ـ٨٧ .

٢ ـ انظر : الاصابة ٤ـ٤٥٨ والطبقات الكبرى ٨ـ٨٦ .

٣ ـ انظر : الاصابة ٣ـ٤٣٣ وتهذيب التهذيب ١٠ـ٢٠٧ ، وتاريخ الخلفاء ٧٥ .

٤ ـ انظر : الطبقات الكبرى ٤ـ٣٦٤ وتهذيب التهذيب ١ـ٤٢٥ .

٥ ـ انظر : الاصابة ٢ـ٣٣٠ وتهذيب التهذيب ٥ـ٢٧٦ .

بعد ذلك ننتقل لتفصيل الكلام عن الأقوال الثمانية .

وسأبدأ بأصح الأقوال وأرجحها .

ثم أتمم الكلام عن الآراء التي نقلت عن أكثر من صحابي ، لأنها تعتبر أرجح من التي انفرد بروايتها واحد .

وبهذا يكون البحث متمشياً مع المنهج العلمي الصحيح .

القول الأول :

ان آخر آية نزلت على الإطلاق :

قول الله تعالى :

« واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون »(١) .

وهذا القول مروي عن :

عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ت ٦٨هـ .

وإليك بعض الآثار التي تثبت ذلك :

١ ـ أخرج النسائي ت ٣٠٣هـ .

من طريق « عكرمة بن سليمان » ت ١٩٨هـ عن « ابن عباس » قال :

« آخر شيء نزل من القرآن :

« واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله » الآية(٢) .

---

١ ـ سورة البقرة ٢٨١ .

٢ ـ انظر : الاتقان ١ـ٧٧ ومن علوم القرآن ٢١ ، ومع القرآن١٨٧

٢ ــ أخرج ابن مردويه ت ٤١٠هـ (١) .

من طريق (سعيد بن جبير) ت ٩٥هـ (٢) عن (ابن عباس) قال :
آخر آية نزلت :

« واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله » الآية (٣) .

٣ ــ وأخرج « ابن جرير » ت ٣١٠هـ (٤) من طريق « الضحاك » ت ١٠٥هـ (٥) عن (ابن عباس) قال : آخر آية نزلت : « واتقوا يوماً »..الآية»(٦) .

وأخرج « ابن أبي حاتم (٧) من طريق « سعيد بن جبير » ت٩٥هـ . عن (ابن عباس) ت ٦٨هـ قال : آخر ما نزل من القرآن كله :

---

١ ــ هو : أبوبكر أحمد بن موسى بن مردويه الأصبهاني ، صاحب التفسير وكتاب المستخرج على صحيح البخاري ت ٤١٠هـ ٠

٢ ــ هو : سعيد بن جبير بن هشام ، أبو عبد الله الكوفي من خيرة التابعين :
أنظر : الطبقات الكبرى ٦ــ٢٥٦ ووفيات الأعيان ١ــ٢٥٦ ٠

٣ ــ أنظر : الأتقان ١ــ٧٧ ٠

٤ ــ هو : محمد بن جرير بن يزيد ، أبو جعفر ، كان اماما في كثيرمن العلوم منها : التفسير ــ والقراءات ــ والحديث

٥ ــ والفقه ــ والتاريخ ، وغير ذلك له عدة مؤلفات ت ٣١٠ هـ
أنظر : معجم الأدباء ٦ــ٤٢٤ وطبقات المفسرين ٣٠ ٠

٦ ــ هو : الضحاك بن مزاحم أبوالقاسم من التابعين ت ١٠٥هـ ٠

٧ ــ أنظر : الأتقان ١ــ٧٧ ٠
أنظر : الأتقان ١ــ٧٨ ٠
لم أتمكن من الوقوف لابن أبى حاتم هذا على ترجمة حيث لم تذكر المصنفات اسمه صراحة ٠
وبالرجوع الى « أبى حاتم » وجدتهم ثلاثة : =

« واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله » الآية .

وعاش النبي صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية تسع ليال ، ثم مات ليلة الاثنين لليلتين خلتا من ربيع الأول » ا هـ (١) .

القول الثاني :

ان آخر ما نزل آية الربا وهي قوله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين »(٢) .

وقد نقل هذا القول عن كل من :

عمر بن الخطاب رضي الله عنه ت ٢٣هـ .

عبد الله بن عباس رضي الله عنه ت ٦٨هـ .

وإليك بعض الآثار التي تثبت ذلك :

١ ـ أخرج البخاري ت ٢٥٦هـ (٣) .

عن « ابن عباس » قال : « آخر آية نزلت آية الربا » (٤) .

---

١ ـ ابو حاتم البستى .
٢ ـ ابو حاتم الرازى .
٣ ـ ابو حاتم السجستانى .
ولم ادر هو ابن من في هؤلاء الثلاثة .

١ ـ انظر الاتقان ١/٧٨
ومن علوم القرآن ٢٠١ .

٢ ـ سورة البقرة ٢٧٨ .

٣ ـ هو : محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة ، ابو عبد الله البخارى الحافظ ، صاحب الجامع الصحيح والتصانيف ت ٢٥٦هـ .
انظر : تذكرة الحفاظ ٢ـ١٢٢ وطبقات السبكى ٢ـ٢ .

٤ ـ انظر : الاتقان ١ـ٧٧ .

٢ – روى البيهقي ت ٤٥٨هـ (١) .

عن « عمر بن الخطاب » رضي الله عنه قال : « آخر آية نزلت آية الربا »(٢)

القول الثالث :

ان آخر ما نزل قول الله تعالى :

« لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم » إلى قوله تعالى : « وهو رب العرش العظيم »(٣) .

وقد نقل هذا القول عن كل من :

« أبي بن كعب » رضي الله عنه ت ٣٠هـ .

« وعبد الله بن عباس » رضي الله عنه ت ٦٨هـ .

وإليك بعض الآثار التي تثبت ذلك :

١ – أخرج ابن مردويه ت ٤١٠هـ (٤) عن « أبي » قال : « آخر القرآن عهداً بالله هاتان الآيتان : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم » الآية (٥) .

٢ – وفي المستدرك عن « أبي بن كعب » قال : « آخر آية نزلت : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم » إلى آخر السورة » اهـ (٦) .

---

١ – هو : أحمد بن الحسين بن علي ، أبوبكر البيهقي من ائمة الحديث له عدة مصنفات توفى ٤٥٨هـ .
أنظر : شذرات الذهب (٣–٣٠٤ وفيات الأعيان ١–٢٤

٢ – أنظر : الاتقان ١–٧٧ .

٣ – سورة التوبة ١٢٨–١٢٩ .

٤ – تقدمت ترجمته بالهامش .

٥ – أنظر : الاتقان ١–٧٩ ومع القرآن ١٩٠ .

٦ – أنظر : الاتقان ١–٧٨ .

٣ ـ وأخرج أبو الشيخ في تفسيره من طريق « علي بن زيد » ت١٢٩هـ(١) عن « ابن عباس » ت ٦٨هـ .

قال : آخر آية نزلت « لقد جاءكم رسول من أنفسكم » الآية (٢) .

القول الرابع :

ان آخر آية نزلت قوله تعالى :

« فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم » إلى آخرها(٣) .

وهذا القول مروي عن أم سلمة رضي الله عنها ت ٥٩هـ . فقد أخرج « ابن مردويه » ت ٤١٠هـ . من طريق « مجاهد بن جبر » ت ١٠٤هـ (٤) عن « أم سلمة » قالت : آخر آية نزلت هذه الآية :

« فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم » إلى آخرها(٥) .

القول الخامس :

ان آخر ما نزل قول الله تعالى :

---

١ ـ هو : على بن زيد بن عبد الله بن ابى مليكة ، زهير بن جدعان البصرى ، كان فقيها ضريرا ، وليس بالثقة القوى ت ١٢٩هـ .
أنظر : تهذيب التهذيب ٧ـ٢٢٢ .

٢ ـ سورة التوبة ١٢٨ـ١٢٩ .
أنظر : الأتقان ١ـ٧٩ .

٣ ـ سورة آل عمران ١٩٥ .

٤ ـ هو : مجاهد بن جبر المخزومى ، من كبار التابعين والمفسرين : أنظر : صفوة الصفوة ٢ـ١١٧ ، ومعجم الأدباء ٦ـ٢٤٢ وتهذيب التهذيب ١٠ـ٤٢ ، وغاية النهاية ٢ـ٤١ .

٥ ـ أنظر : الأتقان ١ـ٨٠ ، ومع القرآن ١٨٨ .

« ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم » إلى آخرها(١) .

وهذا القول مروي عن « عبد الله بن عباس » رضي الله عنهما ت ٦٨هـ فقد أخرج البخاري ت ٢٥٦هـ عن « ابن عباس » قال : نزلت هذه الآية :

« ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم » .

هي آخر ما نزل ، وما نسخها شيء » (٢) .

القول السادس :

ان آخر ما نزل قول الله تعالى :

« يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة »(٣) .

وهذا القول مروي عن : البراء بن عازب بن الحارث ت ٦٢هـ

فقد روى الشيخان عن « البراء بن عازب » قال : آخر آية نزلت ويستفتونك إلى آخرها (٤) .

القول السابع :

ان آخر آية نزلت قول الله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا إذا تداينم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه » إلى آخرها(٥).

وهذه آية الدَّين . وقد نقل هذا القول عن :

---

١ – سورة النساء ٩٣ .
٢ – أنظر : الأتقان ١–٨٠ ، ومع القرآن ١٨٩ .
٣ – سورة النساء ١٧٦ .
٤ – أنظر : الأتقان ١–٧٧ ومع القرآن ١٨٩ .
٥ – سورة البقرة ٢٨٢ .

« سعيد بن المسيب » ت ٩٤هـ (١) .

فقد أخرج « ابن جريج » ت ١٥٠هـ (٢) .

« ومن غريب ما ورد في ذلك ما أخرجه « ابن جرير » ت ٣١٠هـ .

عن : « معاوية بن أبي سفيان » . أنه تلاهذه الآية « فمن كان يرجو لقاء ربه » الآية . وقال : انها آخر آية نزلت من القرآن .

قال « ابن كثير » هذا أثر مشكل ، ولعله أراد أنه لم ينزل بعدها آية تنسخها ، ولا تغير حكمها ، بل هي مثبتة محكمة (١) .

تعقيب وترجيح :

بعد أن ذكرت هذه الأقوال الثمانية الواردة في بيان آخر ما نزل من القرآن على الإطلاق ، أخال سائلا يسأل ويقول :

أي هذه الأقوال أرجح ؟

وأقول :

اني أرى أن أرجح هذه الأقوال هو القول الأول المروي عن « ابن عباس » رضي الله عنهما ، وذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم عاش بعد نزول هذه الآية :

« واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون »(٢) .

تسع ليال فقط ثم نقل إلى الرفيق الأعلى ، حسبما جاء في الأثر الذي أخرجه « ابن أبي حاتم » .

علماً بأنه لم يحظ أي قول من بقية الأقوال بمثل هذا النص . والله أعلم .

---

١ ـ انظر : الاتقان ١ـ٨٠ ، ومع القرآن ١٩٠ .
٢ ـ سورة البقرة ٢٨١ .

القضية الخامسة :

فوائد معرفة ترتيب نزول القرآن :

بين أول ما نزل من القرآن وآخر ما نزل منه ، ثم نزول القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم في كل من « مكة المكرمة » و « المدينة المنورة » وهذا ما أطلق عليه : المكي ، والمدني .

وهذا ما سنتعرض لبيانه في الفصل التالي إن شاء الله تعالى :

إلا أنني أخالني أجد سؤالا يفرض نفسه وهو :

ما فوائد معرفة ترتيب نزول القرآن ؟

وأجيب على ذلك بما يأتي :

ان لذلك فوائد جليلة ومتنوعة . ولكن أبرز هذه الفوائد ما يلي :

الأول :

معرفة الناسخ والمنسوخ فيما إذا وردت آيتان في موضوع واحد وكان الحكم في إحدى هاتين الآيتين يغاير الحكم في الأخرى تغايراً لا يمكن معه الجمع .

عندئذ نعرف أن المتأخر منهما ناسخ للمتقدم ، فنعمل بالمتأخر ونترك العمل بالمتقدم . مثال ذلك :

١ – قول الله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ذلك خير لكم وأطهر فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم »(١) .

وتضمنت هذه الآية حكماً شرعياً وهو :

أن الإنسان إذا أراد أن يتكلم مع النبي صلى الله عليه وسلم كان يجب عليه أن يقدم قبل ذلك صدقة لله تعالى ما دام قادراً على التصدق .

فشق ذلك على المسلمين .

فتلطف الله بهم وخفف عنهم ونسخ ذلك الحكم بقوله تعالى في الآية التالية لها :

« أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله والله خبير بما تعملون »(٢)

٢ ـ وقول الله تعالى :

« يا أيها الذين آمنو اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلون »(٣) .

ومعنى قوله : « حق تقاته » بأنه يجب على الإنسان أن يطيع الله تعالى ولا يعصاه مطلقاً ، ويشكره فلا يكفره بأي حال من الأحوال ويذكره ، فلا ينساه لحظة .

فقال الصحابة للرسول صلى الله عليه وسلم :

ومن يقوى على ذلك يا رسول الله ؟

---

١ ـ سورة المجادلة ١٢

٢ ـ سورة المجادلة ١٣ .

٣ ـ سورة آل عمران ١٠٢ .

فخفف الله تعالى على عباده وتلطف بهم لأنه بعباده رؤوف رحيم ، ونسخ ذلك بقوله تعالى :

« فاتقوا الله ما استطعتم »(١)

وغير ذلك كثير وسيأتي تفصيله أثناء الحديث عن الناسخ والمنسوخ .

الثاني :

معرفة تاريخ التشريع الإسلامي ــ مثال ذلك :

١ ــ أننا إذا عرفنا أن الآيات التي نزلت في فرضية الصلاة كانت بمكة قبل الهجرة .

٢ ــ وأن الآيات التي نزلت في فرضية الزكاة والصوم كانت في السنة الثانية من الهجرة .

٣ ــ وأن الآيات التي نزلت في فرض الحج كانت في السنة السادسة من الهجرة ، أمكننا أن نرتبها ترتيباً تشريعياً فنقول :

أن أول ما فرض الصلاة ثم الزكاة ، ثم الصيام ، ثم الحج .

ومثل : ما إذا عرفنا أن قوله تعالى :

« أذن للذين يُقَاتَلون بأنهم ظُلموا وأن الله على نصرهم لقدير »(٢) .

علمنا أن تشريع الجهاد كان بالمدينة في السنة الثانية للهجرة ، وهكذا (٣) .

---

١ ــ سورة التغابن ١٦ .

٢ ــ سورة الحج ٣٩ .

٣ ــ قال ابن عباس : لما خرج رسول الله صلعم من مكة قال أبوبكر : انا والله لنهلكن ، فأنزل الله : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا » الآية . قال أبوبكر فعرفت أنه سيكون قتال اهـ . المرجع : أسباب النزول للنيسابورى ص ٢٠٨ ويقال أنها نزلت في طريق الهجرة وهو أمثل . وانظر من علوم القرآن ٢٢ .

الثالث :

معرفة التدرج في التشريع الإسلامي ، عندئذ ندرك حكمة الله تعالى العالية ورحمته بعباده في أخذهم بالهوادة والرفق ، والبعد بهم عن غوائل الطفرة والعنف .

« التدرج في تحريم الخمر »

وبيان ذلك أن تحريم الخمر مر بأطوار ثلاثة :

* الأول :

التصريح بأن الخمر ضررها أكثر من نفعها ، وذلك للحث على التنفير منها والبعد عنها .

يرشد لذلك قول الله تعالى :

« يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما »(١) .

* الثاني :

تحريم الخمر قرب القيام للصلاة حتى لا يدخل المصلي الصلاة وهو سكران .

يوضح ذلك قول الله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون » (٢) .

* والطور الثالث :

تحريم الخمر تحريماً قطعياً في جميع الأوقات .

---

١ ـ سورة البقرة ٢١٩ .
٢ ـ سورة النساء ٤٣ .

ودليل ذلك قول الله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون »(١) .

فإذا ما علمنا أن آية سورة (البقرة) التي نزلت في بيان أن ضرر الخمر أكثر من نفعها ، أدركنا أنها أول آية نزلت بشأن الخمر . وكان نزولها قبل نزول آيات سورتي : النساء والمائدة .

وإذا ما علمنا أن آية سورة (النساء) نزلت في النهي عن تحريم الخمر في أوقات مخصوصة أدركنا أنها نزلت قبل آيتي سورة المائدة . وأن آيتي سورة المائدة كانتا آخر شيء نزل في تحريم الخمر . والله أعلم .

---

١ ـ سورة المائدة ٩٠ ، ٩١ .

الفصل الثاني

تقسيمات القرآن

سأتحدث في هذا الفصل بإذن الله تعالى عن :

تقسيمات القرآن الكريم .

وسيشتمل ذلك على التقسيمات الآتية :

أولا – تقسيمه إلى :

(أ) مكي ، ومدني .

(ب) تحديد معنى المكي – والمدني .

(جـ) طرق معرفة كل منهما .

(د) علامات كل من المكي ، والمدني .

(هـ) مميزات كل من المكي ، والمدني .

ثانياً : تقسيمه إلى سور ، وما يتعلق بذلك مثل :

(أ) العدد الإجمالي لسور القرآن .

(ب) معنى السورة .

(جـ) حكم ترتيب سور القرآن .

(د) الحكمة من جعل القرآن سوراً .

(هـ) هل أسماء السور توقيفية ؟

ثالثاً ــ تقسيم سور القرآن إلى ما يلي :

(أ) الطوّل .

(ب) المئين .

(ج) المثاني .

(د) المفصل .

رابعاً ــ تقسيم القرآن إلى ما يأتي :

(أ) العدد الإجمالي لآيات القرآن .

(ب) معنى الآية .

(ج) فوائد معرفة الآية .

(د) الطرق التي تعرف بموجبها الآية .

(هـ) حكم ترتيب آيات القرآن .

(و) عدد كلمات القرآن .

وهذا تفصيل الكلام على ذلك :

أ ــ تقسيم القرآن إلى : مكي ، ومدني ، وما يتعلق بذلك :

من المعلوم أن مدة بعثة النبي صلى الله عليه وسلم امتدت إلى ثلاث وعشرين سنة تقريباً ، مكث منها ثلاث عشرة سنة في مكة قبل الهجرة ، وعشر سنوات في المدينة المنورة بعد الهجرة .

وفي خلال مدة بعثته عليه الصلاة والسلام تم نزول القرآن الكريم .

ومن هنا جاز تقسيم القرآن إلى : مكي ، ومدني .

وفي هذا المقام أجد عدة أسئلة تفرض نفسها وتتطلب الإجابة عليها مثل :

١ ـ ما السور التي نزلت في مكة ؟

٢ ـ ما السور التي نزلت في المدينة ؟

٣ ـ ما المقصود من المكي ، والمدني ؟

٤ ـ هل هناك طرق لمعرفة كل منهما ؟

٥ ـ ما علامات كل منهما ؟

٦ ـ ما مميزات كل منهما ؟

وإليك الإجابة على كل هذه التساؤلات حسب ترتيبها :

أولا :

أن السور التي نزلت بمكة المكرمة وفقاً لما ورد عن :

« عبد الله بن عباس » رضي الله عنهما » ت ٥٦٨هـ هي كما يلي : (١)

مسلسل	اسم السورة	مسلسل	اسم السورة
١	اقرأ باسم ربك	٧	إذا الشمس كورت
٢	ن والقلم	٨	سبح اسم ربك الأعلى
٣	والضحى	٩	والليل إذا يغشى
٤	يا أيها المزمل	١٠	والفجر
٥	يا أيها المدثر	١١	ألم نشرح لك صدرك
٦	تبت يدا أبي لهب	١٢	والعصر

١ ـ أنظر : مقدمتان في علوم القرآن ص ٨ ، ٩ .

مسلسل	اسم السورة	مسلسل	اسم السورة
١٣	إنا أعطيناك الكوثر	٣٢	لا أقسم بهذا البلد
١٤	ألهاكم التكاثر	٣٣	والسماء والطارق
١٥	أرأيت الذي	٣٤	اقتربت الساعة
١٦	ألم تر كيف فعل ربك	٣٥	ص والقرآن ذي الذكر
١٧	قل يا أيها الكافرون	٣٦	الأعراف
١٨	قل هو الله أحد	٣٧	قل أوحى إلى
١٩	والنجم	٣٨	يس والقرآن الحكيم
٢٠	عبس وتولى	٣٩	الفرقان
٢١	إنا أنزلناه في ليلة القدر	٤٠	الإسراء
٢٢	الحج	٤١	مريم
٢٣	والشمس وضحاها	٤٢	طه
٢٤	والسماء ذات البروج	٤٣	الشعراء
٢٥	والتين والزيتون	٤٤	النمل
٢٦	لإيلاف قريش	٤٥	القصص
٢٧	القارعة	٤٦	فصلت
٢٨	لا أقسم بيوم القيامة	٤٧	يونس
٢٩	ويل لكل همزة لمزة	٤٨	هود
٣٠	والمرسلات عرفا	٤٩	يوسف
٣١	ق والقرآن المجيد	٥٠	الحجر

مسلسل	اسم السورة	مسلسل	اسم السورة
٥١	الأنعام	٦٨	إبراهيم
٥٢	الصافات	٦٩	اقتربت الساعة
٥٣	لقمان	٧٠	الأنبياء
٥٤	سبأ	٧١	المؤمنون
٥٥	الزمر	٧٢	السجدة
٥٦	غافر	٧٣	الرعد
٥٧	السجدة	٧٤	الطور
٥٨	الشورى	٧٥	تبارك الذي بيده الملك
٥٩	الزخرف	٧٦	الحاقة
٦٠	الدخان	٧٧	سأل سائل بعذاب واقع
٦١	الجاثية	٧٨	عم يتساءلون
٦٢	الأحقاف	٧٩	النازعات
٦٣	الذاريات	٨٠	إذا السماء انفطرت
٦٤	هل أتاك حديث الغاشية	٨١	إذا السماء انشقت
٦٥	الكهف	٨٢	الروم
٦٦	النحل	٨٣	العنكبوت
٦٧	نوح		

مما تقدم يتبين أن جملة السور القرآنية التي نزلت بمكة المكرمة ثلاث وثمانون سورة ، سوى بعض آيات في بعض هذه السور فإنها نزلت بالمدينة المنورة . (١)

---

١ ـ انظر : مقدمتان في علوم القرآن ص ٨ ، ٩ .

بعد ذلك ننتقل لبيان السور التي نزلت بالمدينة المنورة فنقول :

ثانيـا :

ان السور التي نزلت بالمدينة المنورة وفقاً لما ورد عن :

« عبد الله بن عباس ، رضي الله عنهما هي كما يلي :

مسلسل	اسم السورة	مسلسل	اسم السورة
١	ويل للمطففين	١٦	إذا جاءك المنافقون
٢	البقرة	١٧	النور
٣	الأنفال	١٨	المجادلة
٤	آل عمران	١٩	الحجرات
٥	الأحزاب	٢٠	التحريم
٦	الممتحنة	٢١	الجمعة
٧	النساء	٢٢	التغابن
٨	إذا زلزلت	٢٣	الصف
٩	الحديد	٢٤	الفتح
١٠	محمد صلى الله عليه وسلم	٢٥	المائدة
١١	هل أتى على الإنسان	٢٦	التوبة
١٢	الطلاق	٢٧	إذا وقعت الواقعة
١٣	لم يكن	٢٨	والعاديات ضبحا
١٤	الحشر	٢٩	الفلق
١٥	إذا جاء نصر الله	٣٠	الناس

مما تقدم تبين أن جملة السور القرآنية التي نزلت بالمدينة المنورة ثلاثين سورة . (١)

فإذا ما جمعنا السور المكية وهي ٨٣ سورة .

على السور المدنية وهي ٣٠ سورة .

يكون مجموع سور القرآن ١١٣ سورة .

فإذا قيل :

من المعلوم لدى أهل العلم أن عدد سور القرآن مائة وأربع عشرة سورة .

فما هي السورة المكملة للعدد الذي ذكرته ؟

أقــول :

تلك السورة هي سورة الفاتحة .

فإن قيل :

ولماذا لم تذكرها ضمن أحد هذين القسمين ؟

أقول : لقد قيل أنها نزلت مرتين :

إحداهما بمكة – والأخرى بالمدينة ، والراجح أنها نزلت بمكة . وبهذا يصبح العدد الإجمالي لسور القرآن الكريم مائة وأربع عشرة سورة .

ثالثــا :

ب – للعلماء في تحديد معنى المكي والمدني ثلاثة مذاهب :

* الأول :

وهو أرجحها وأشهرها :

---

١ ـ أنظر : مقدمتان في علوم القرآن ص ١٠ .

أن المكي : ما نزل قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة سواء نزل في مكة نفسها ، أو في ناحية أخرى .

والمدني : ما نزل بعد الهجرة . سواء نزل بالمدينة أو في غيرها .

وعلى هذا المذهب يكون المعتبر في التقسيم زمن النزول .

* المذهب الثاني :

أن المكي : ما نزل بمكة ، سواء كان نزوله قبل الهجرة ، أو بعدها ، وسواء كان في مكة نفسها أو فيما جاورها من الأماكن القريبة منها مثل :

منى ، وعرفات ، والحديبية ، لأن ما قارب الشيء يعطي حكمه .

والمدني : ما نزل بالمدينة المنورة ، سواء نزل في المدينة نفسها أو في مكان قريب منها .

مثل : بدر ، وأحد .

وعلى هذا يكون المعتبر في التقسيم مكان النزول ، وعليه يكون ما نزل في غير مكة ، والمدينة ، وضواحيهما ، قسماً مستقلا ، لا يطلق عليه مكي ، ولا مدني .

* المذهب الثالث :

أن المكي : ما نزل في شأن أهل مكة ، سواء كان قبل الهجرة أو بعدها .

والمدني : ما لم ينزل في شأن أهل مكة ، ومن على شاكلتهم من عبدة الأصنام .

وعلى هذا يكون المعتبر في التقسيم المخاطبين . (١)

---

١ ـ أنظر : الاتقان ١/٢٣ .
وتاريخ المصحف ٩٨ـ١٠٠ .

جـ ـ رابعاً : طرق معرفة كل من المكي ، والمدني :

قال القاضي أبو بكر الباقلاني ت ٤٠٣ هـ(١) : « إنما يرجع في معرفة المكي والمدني إلى حفظ الصحابة والتابعين .

ولم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك قول ، لأنه لم يؤمر به ، ولم يجعل الله علم ذلك من فرائض الأمة » أ هـ .

وقد ورد عن (ابن عباس) وغيره عد المكي والمدني(٢) .

إذا فالسبيل الوحيد لمعرفة المكي والمدني هو النقل الصحيح عن الصحابة رضي الله عنهم .

د ـ خامساً : علامات كل من : المكي والمدني :

لقد وضع العلماء السابقون جزاهم الله خيراً ـ علامات يمكن بموجبها معرفة كل من المكي ، والمدني . وبالرجوع إلى هذه العلامات وتفحصها وجدتّها تنقسم إلى قسمين :

(أ) ما يطرد على الدوام .

(ب) وما هو غير مطرد على الدوام .

وإليك تفصيل الكلام على ذلك :

* أولا : علامات المكي المطردة مثل :

---

١ ـ هو : محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر ، أبوبكر الباقلانى من كبار علماء الكلام ، وكان موصوفا بجودة الاستنباط ، وسرعة الجواب ، له عدة مصنفات ت ٤٠٣ هـ : أنظر : وفيات الأعيان ١ـ٦٠٩ ، وتاريخ بغداد ٥ـ٣٧٩ .

٢ ـ أنظر : الاتقان ١ـ٢٤ ، وتاريخ المصحف ١٠١ .

١ – وجود لفظ « يا بني آدم » في السورة : فكل سورة فيها هذا اللفظ فهي مكية .

٢ – وجود آية سجدة في السورة : فكل سورة فيها آية سجدة تعتبر مكية .

٣ – وجود لفظ « كلا » في السورة : فكل سورة فيها هذا اللفظ فهي مكية .

ولذا قال بعضهم :

ما نزلت « كلا » بيثرب ، ولم تأت في القرآن في نصفه الأعلى بل كلها موجودة في النصف الأخير منه ، وجملتها ثلاث وثلاثون مرة ، في خمس عشرة سورة .

* ثانياً : علامات المكي غير المطردة مثل :

١ – اشتمال السورة على آية مصدرة بلفظ « يا أيها الناس » .

فذكر الآية المصدرة بهذا اللفظ دليل على أن السورة مكية ، وهذا في الغالب ، لأنه وجد هذا في سور وهي مدنية ، وذلك في السور الآتية :

* سورة البقرة فيها آيتان وهما :

« يا أيها الناس اعبدوا ربكم »(١) .

« يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيباً »(٢) .

* سورة النساء ، فيها ثلاث آيات وهي :

« يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة »(٣) .

---

١ – سورة البقرة ٢١ .
٢ – سورة البقرة ١٦٨ .
٣ – سورة النساء ١ .

« يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم »(١) .
« يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم »(٢) .

• سورة الحج فيها آية واحدة وهي :

«يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم »(٣) .

• سورة الحجرات فيها آية واحدة وهي :

« يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى »(٤) .

٢ ـ ذكر قصة آدم وإبليس في السورة :

فكل سورة ذكرت فيها هذه القصة مكية ، إلا سورة البقرة فهي مدنية مع ذكر هذه القصة فيها .

٣ ـ إفتتاح السورة بحروف التهجي مثل :

ألم ـ الر ـ طس ـ طسم ـ حم ـ ق ـ ن ـ ص ـ الخ .
فكل سورة افتتحت بحروف التهجي فهي مكية . إلا سورتين وهما :

البقرة ، وآل عمران ، فهما مدنيتان بالاجماع ، مع كونهما مفتتحتين بحروف التهجي .

٤ ـ اشتمال السورة على ذكر أنباء الرسل ، وأحوال الأمم السابقة . لما فيها من أبلغ المواعظ وأنفع العبر ، ومن تقرير سنته تعالى في كونه ، وهي إهلاك الأمم المكذبة لرسلها ، الخارجة عن أوامر ربها ، ونصر من صدق رسول الله تعالى ، ووقف عند حدوده ، وعمل بشرائعه .

---

١ ـ سورة النساء ١٧٠ .
٢ ـ سورة النساء ١٧٤ .
٣ ـ سورة الحج ١ .
٤ ـ سورة الحجرات ١٣ .

فكل سورة تضمنت ما ذكر فهي مكية ، إلا سورة « البقرة » فهي مدنية مع اشتمالها على ذكر قصص بعض الرسل .

٥ – قصر الآيات :

فقصر آيات السورة أمارة على كونها مكية ، وذلك لأن أهل مكة كانوا أهل فصاحة ، فيناسبهم الإيجاز دون الأطناب .

وهذه العلامة أغلبية ، إذ قد يوجد قصر الآيات في السورة وهي مدنية ، مثل سورة « النصر » فآياتها قصيرة مع كونها مدنية(١) .

* ثالثاً : علامات المدني المطردة مثل :

١ – اشتمال السورة على آية مصدرة بلفظ :

« **يا أيها الذين آمنوا** » .

فذكر الآية المصدرة بهذا اللفظ في السورة سواء كانت هذه الآية في أول السورة أم في وسطها ، أم في آخرها ، أمارة على أن هذه السورة مدنية ، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى أن الإيمان كان غالباً على أهل المدينة ، فخوطبوا بيا أيها الذين آمنوا ، وإن كان غيرهم داخلا فيهم .

وهذه العلامة تعتبر مطردة ، فإذا ما وجد هذا اللفظ في سورة ما ، كان ذلك دليلا على أن هذه السورة مدنية قطعاً(٢) .

* رابعاً : علامات المدني غير المطردة مثل :

١ – طول أكثر سوره وآياته .

---

١ – أنظر : الاتقان ١–٢٧ فما بعدها ، وتاريخ المصحف ص ١٠٢ فما بعدها ، ومع القرآن الكريم ص ١٤٦ فما بعدها .
٢ – أنظر : الاتقان ص ١–٤٧ ، وتاريخ المصحف ص ١٠٥ ، ومع القرآن الكريم ص ١٤٩ .

ولعل ذلك يرجع إلى أن أهل المدينة كانت حالهم وطباعهم ، وخصالهم تستدعي الاسهاب ، لأن قلوبهم كانت على استعداد لتلقي الدعوة الإسلامية ، كما أن استعدادهم لقبول الإسلام ومبادئه كان أيضاً عاملا من عوامل طول السور والآيات ، نظراً لأن بسط الأحكام الشرعية ، كان يقتضي الاطناب . وسيتجلى لنا ذلك أثناء الحديث عن مميزات كل من المكي والمدني .

وهذه العلامة غير مطردة بل هي في الغالب ، إذ قد توجد سورة طويلة وآياتها طوال وهي مكية ، مثل : سورة « الأنعام » .

كما توجد سورة قصيرة ، وآياتها قصار ، مثل : سورة « النصر »(١) .

هـ ـ خامساً : مميزات كل من المكي ، والمدني :

بعد أن تحدثت عن علامات كل من المكي ، والمدني ، أتحدث عن مميزات كل منهما .

فإن قيل :

هل هناك فارق بين العلامات والمميزات ؟

أقول :

بالبحث لم أجد أحداً نص على ذلك ، بل الكتاب يدمجون العلامات في المميزات ولا يفرقون بينهما .

ولكني أرى أنهما يختلفان فيما يلي :

١ ـ إن المميزات أخص من العلامات :

وبيان ذلك أن المميزات تتعلق بأسلوب القرآن الكريم ، فالأسلوب المكي يختلف عن الأسلوب المدني .

---

١ ـ انظر : الاتقان ١/٤٧ .

كما أن المميزات تتعلق بالمضمون ، فالسور المكية مضمونها مغاير في الغالب لمضمون السور المدنية .

وإليك تفصيل الكلام على ذلك .

(أ) مميزات السور المكية :

تتميز السور المكية على المدنية بأمور منها :

١ – عناية آي السورة بالدعوة إلى المقصد الاسمي من الدين ، وهو الإيمان بالله تعالى وتوحيده ، والاعتقاد بأنه تعالى موصوف بكل كمال ، ومنزه عن كل نقص ، والإيمان برسالة النبي صلى الله عليه وسلم ، وبرسالة من سبقه من الرسل والإيمان بملائكة الله تعالى ، وكتبه ، وباليوم الآخر ، وما فيه من بعث ونشور وحساب ، وجزاء ، ونعيم ، وعقاب ، مع إثبات ذلك كله بأدلة الكون ، وبراهين العقل .

ثم النعي على المشركين ، وإبطال شبههم ، وتفنيد مزاعمهم ، وتسفيه أحلامهم بعكوفهم على عبادة أصنام لا تملك لأنفسها – فضلا عن غيرها – نفعاً ولا ضراً .

٣ – تتحدث آي السور المكية عن مثالب المشركين البغيضة ، وعاداتهم المنكرة ، من القتل بغير حق ، ووأد البنات ، وأكل أموال اليتامى ظلماً ، إلى غير ذلك من الموبقات ، مع تحذيرهم منها ، ووعيدهم على ارتكابها ، وهذا بحسب الغالب ، إذ قد توجد آيات في سورة مدنية مشتملة على ما ذكرنا .

٣ – تتضمن آيات السور المكية الحث على التحلي بأصول الفضائل وأمهات المكارم ، من الصدق في الحديث ، والصبر على المكاره ، وحسن المعاملة ، والتواضع ولين الجانب ، وطهارة القلوب ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، إلى غير ذلك من الفضائل .

وهذا بحسب الغالب أيضاً ، إذ قد توجد آيات في سور مدنية مشتملة على بعض ما ذكرنا(١) .

(ب) مميزات السور المدنية :

تتميز السور المدنية عن المكية بأمور منها :

١ ـ دعوة أهل الكتابين : اليهود ، والنصارى ، إلى الانضواء تحت لواء الإسلام ، وإقامة البراهين على فساد عقيدتهم ، وبعدهم عن الحق والصواب ، وتحريفهم كتب الله تعالى .

٢ ـ اشتمال السور المدنية على الإذن بالجهاد ، وبيان أحكامه ، لأن الجهاد لم يشرع إلا بالمدينة .

٣ ـ تتضمن السور المدنية بيان قواعد التشريع التفصيلية ، والأحكام العملية في العبادات والمعاملات ، والفرائض ، وأحكام الحدود ، وأنواع القوانين : المدنية ـ والجنائية ـ والاجتماعية ـ وأحكام الأحوال الشخصية ونظام الأسرة ، إلى غير ذلك من دقائق التشريع الإسلامي .

٤ ـ اشتمال السور المدنية على أحوال المنافقين ، ومواقفهم من الدعوة المحمدية ، وتوقيف الرسول صلى الله عليه وسلم على جلية أمرهم وما يكنون له من حسد ، وعداوة ، وذلك أن المنافقين لم تنشأ جماعتهم إلا في « المدينة المنورة » حيث قويت شوكة المسلمين ، وأصبح ضعاف الإيمان يخشون المسلمين من جهة ، ويخشون الكفار من جهة أخرى ، فالحديث عن المنافقين إذا إنما كان بعد الهجرة النبوية(٢) .

---

١ ـ أنظر : تاريخ المصحف ص ١٠٤ـ١٠٥ .
ومع القرآن الكريم ص ١٥٣ .

٢ ـ أنظر : تاريخ المصحف ص ١٠٥ ، ومع القرآن الكريم ص١٦٣ـ١٦٤ .

٥ ـ من مميزات الآيات المدنية طولها في الغالب الأعم .

فائــدة :

ينبغي أن يعلم أن الحكم على السورة بأنها مكية يصدق بحالتين :

• الأولى : أن يكون جميع آياتها مكية ، مثل :

سورة « المدثر » فإن آياتها كلها مكية باتفاق .

• الثانية : أن يكون معظم آياتها «مكية» مثل : سورة « النحل » فإنها مكية ما عدا الآيات الثلاث في آخرها من قوله تعالى :

« وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به »

إلى آخر السورة(١) فإنها مدنية .

كما أنه ينبغي أن يعلم أن الحكم على السورة بأنها مدنية يصدق بحالتين أيضاً :

• الأولى : أن يكون جميع آياتها مدنية مثل : سورة « النور » .

• الثانية : أن يكون أغلب آياتها مدنية ، مثل : سورة « محمد » صلى الله عليه وسلم فإنها كلها مدنية إلا قوله تعالى :

« وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم »(٢) .

فإنها مكية ، لنزولها حين خروج النبي عليه الصلاة والسلام من مكة مهاجراً إلى المدينة المنورة .

---

١ ـ سورة النحل ١٢٦ـ١٢٨ .
٢ ـ سورة محمد ١٣ .

تقسيم القرآن الكريم الى سور وما يتعلق بذلك

(العدد الاجمالي لسور القرآن الكريم)

لقد اختلف في العدد الاجمالي لسور القرآن الكريم :

١ — فالجمهور على أن العدد الاجمالي لسور القرآن — ١١٤ — مائة وأربع عشرة سورة .

وهذا هو القول الصحيح الذي لا ينبغي العدول عنه .

٢ — وقيل : هو — ١١٣ — مائة وثلاث عشرة سورة ، وذلك يجعل « الأنفال ، وبراءة » سورة واحدة (١) .

ب — فإن قيل : ما معنى السورة ؟

أقول : « السورة هي الجملة من آيات القرآن ذات المطلع والمقطع ، وأقلها ثلاث آيات »(٢) .

(جـ) حكم ترتيب سور القرآن الكريم :

فإن قيل : هل ترتيب سور القرآن على ما هو عليه الآن توقيفي ؟

---

١ — انظر : الاتقان ١ـ١٨٤ .

٢ — أنظر مباحث علوم القرآن للشيخ مناع القطان ص ١٢٩ ، والبرهان للزركشى ١ـ٢٦٤ ، والاتقان ١ـ١٥٠ .

أقول : بالرجوع إلى أقوال العلماء أمكنني أن أستخلص من ذلك ثلاثة أقوال :

● الأول : وهو أرجحها أنه توقيفي تولاه النبي صلى الله عليه وسلم ، كما أخبر به جبريل عليه السلام ، عن رب العزة جل وعلا .

وقد ذهب إلى هذا الرأي جمهور العلماء مثل :

١ ـ أبي بكر الأنباري ت ٣٢٨ هـ .

٢ ـ أبي جعفر النحاس ت ٣٣٨ هـ .

٣ ـ الكرماني ت ٥٠٢ هـ تقريباً .

٤ ـ الطيبي ت ٧٤٣ هـ .

وغيرهم .

وإليك بعض أقوال العلماء التي تدل على ذلك :

قال أبو بكر بن الأنباري ت ٣٢٨ هـ (١) :

« أنزل الله القرآن كله إلى سماء الدنيا ، ثم فرقه في بضع وعشرين سنة ، فكانت السورة تنزل لأمر يحدث ، والآية جواباً لمستخبر ، ويوقف جبريل النبي صلى الله عليه وسلم على موضع الآية والسورة .

---

١ ـ هو : محمد بن القاسم بن محمد ، ابوبكر بن الانبارى البغدادى صاحب التصانيف الكثيرة في القراءات وغيرها ت ٣٢٨ هـ ، انظر تاريخ بغداد ٣ـ١٨١ ، وتذكرة الحفاظ ٣ـ٥٧ ، وبغية الوعاة ص ٩١ .

فاتساق السور كاتساق الآيات والحروف ، كله عن النبي صلى الله عليه وسلم .

فمن قدم سورة أو أخرها فقد أفسد نظم القرآن الكريم أ هـ(١) .

وقال الكرماني ت ٥٠٢ هـ (٢) :

« ترتيب السور هكذا هو من عند الله في اللوح المحفوظ على هذا الترتيب وعليه كان صلى الله عليه وسلم يعرض على جبريل كل سنة ما كان يجتمع عنده منه ، وعرض عليه في السنة التي توفي فيها مرتين ، وكان آخر الآيات نزولا :

« **واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله** » بالبقرة(٣) .

فأمره جبريل أن يضعها بين آيتي الربا والدين أ هـ (٤) .

وقال الطيبي ت ٧٤٣ هـ (٥) :

« أنزل القرآن أولا جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ، ثم نزل مفرقاً على حسب المصالح ، ثم أثبت في المصاحف على التأليف والنظم المثبت في اللوح المحفوظ » أ هـ (٦) .

---

١ ـ انظر : الاتقان ص ١ـ١٧٦ ، وتاريخ المصحف ص ١٢٣ .

٢ ـ هو ابوالقاسم برهان الدين محمود بن حمزة بن نصر ، الكرمانى الشافعى ، الملقب تاج القراء ، توفى بعد سنة ٥٠٠ هـ ، له عدة مصنفات ، انظر : بغية الوعاة ص ٣٨٧

٣ ـ البقرة ٢٨١ .

٤ ـ أنظر الاتقان ص ١ـ١٧٧ ، وتاريخ المصحف ص ١٢٣ .

٥ ـ هو : الحسن بن محمد بن عبد الله الطيبى ، احد شراح الكشاف ٧٤٣ هـ : ، انظر بغية الوعاة ص ٢٢٨ .

٦ ـ انظر : الاتقان ١ـ١٧٧ ، وتاريخ المصحف ص ١٢٣ .

وقال أبو جعفر النحاس ت ٢٣٨ هـ (١) :

« المختار أن تأليف السور على هذا الترتيب من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لحديث واثلة بن الأسقع » .

أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« أعطيت مكان التوراة السبع الطول ، وأعطيت مكان الزبور المئين ، وأعطيت مكان الإنجيل المثاني ، وفضلت بالمفصل » أ هـ .

قال النحاس :

فهذا الحديث يدل على أن تأليف القرآن مأخوذ عن النبي صلى الله عليه وسلم وأنه مؤلف من ذلك الوقت ، وإنما جمع في المصحف على شيء واحد ، لأنه قد جاء هذا الحديث بلفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم على تأليف القرآن(٢) .

---

١ – هو : أحمد بن محمد بن اسماعيل المصرى ، أبو جعفر ، من علماء التفسير والأدب . ولد وتوفى بمصر ، له عدة مصنفات منها : تفسير القرآن واعراب القرآن وشرح أبيات سيبويه ، وناسخ القرآن ومنسوخه ، وشرح المعلقات السبع ت ٣٣٨هـ . انظر : الأعلام ١ـ١٩٩ ، وفوات الوفيات ١ـ٦١ ، وأعلام النبلاء ٤ـ٢٣ ، وأعيان الشيعة ٩ـ٣٥٦ .

٢ – انظر البرهان ١ـ٢٥٨ ، والاتقان ١ـ١٧٨ ، وتاريخ المصحف ص ١٢٣ .

وقال السيوطي ت ٩١١ (١) :

« ومما يدل على أن ترتيب السور توقيفي أن الحواميم رتبت ولاء ، وكذا الطواسين ، ولم ترتب المسبحات ولاء ، بل فصل بين سورها ، وفصل بين طسم الشعراء ، وطسم القصص بطس النمل مع أنها أقصر منهما ، ولو كان الترتيب اجتهادياً لذكرت المسبحات ولاء، وأخرت طس النمل عن القصص» أ هـ (٢) .

وأقول : هذا الرأي هو الذي أرجحه وأختاره .

● القول الثاني :

أن ترتيب السور توقيفي منقول عن النبي صلى الله عليه وسلم ، إلا سورتي « الأنفال وبراءة » فإن وضعهما في موضعهما كان باجتهاد من عثمان بن عفان» رضي الله عنه ، ووافقه عليه الصحابة .

وممن جنح إلى هذا المذهب « البيهقي » ت ٤٥٨ هـ (٣) .

---

١ ـ هو : جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال ابى بكر السيوطى ولد بالقاهرة وحفظ القرآن الكريم وهو ابن ثمان سنين بل اقل من ذلك ، ثم تلقى العلوم الشرعية ، والعربية على مشاهير علماء عصره ، وشاع صيته بين الأنام ، واشتهر بالعلم ، والزهد ، والورع ٠ الف في كثير من الفنون ، بلغت مصنفاته كما قال : « ابن اياس » ٦٠٠ ستمائة مؤلف: انظر : مقدمة الاتقان ص ٣ـ٧ وحسن المحاضرة ٠

٢ ـ انظر : الاتقان ١ـ١٧٩ ، وتاريخ المصحف ص ١٢٥ ٠

٣ ـ هو : أحمد بن الحسين بن على ، أبوبكر البيهقى الشافعى من ائمة الحديث ، له العديد من المصنفات منها : السنن الكبرى ، وشعب الايمان ، والأسماء ، والصفات ت ٤٥٨هـ :
انظر : طبقات السبكي ص ٢ـ٣ ، وتذكرة الحفاظ ٣ـ٣٠٩ ، ووفيات الأعيان ١ـ٢٤ ، وشذرات الذهب ٣ـ٣٤ ٠

وقد استدل أصحاب هذا القول بما روي عن : ابن عباس ت ٦٨ هـ رضي الله عنهما أنه قال : « قلت لعثمان : ما حملكم على أن عمدتم إلى « الأنفال » وهي من المثاني ، وإلى « براءة » وهي من المئين ، فقرنتم بينهما ، ولم تكتبوا بينهما سطر « بسم الله الرحمن الرحيم » ووضعتموها في السبع الطول؟

فقال « عثمان » :

« كان رسول الله صلى الله عليه وسلم تنزل عليه السور ذوات العدد ، فكان إذا نزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب فيقول : « ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا ، وكانت الأنفال من أوائل ما نزل بالمدينة ، وكانت براءة من آخر القرآن نزولا ، وكانت قصتها شبيهة بقصتها فظننت أنها منها ، فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا أنها منها ، فمن أجل ذلك قرنت بينهما ، ولم أكتب بينهما سطر « بسم الله الرحمن الرحيم » ووضعتهما في السبع الطُوَل » أ هـ (١) .

تعقيب :

هذا الحديث يدل على أن وضع سورة « الأنفال » و « براءة » في موضعهما على الترتيب الموجود بالمصحف الآن كان باجتهاد « عثمان بن عفان » حيث نسب ذلك إلى نفسه ، ولم يسنده للنبي صلى الله عليه وسلم .

أما ما عداهما من بقية السور فالحديث يدل على أن « عثمان » اتبع في ترتيبها توقيف النبي صلى الله عليه وسلم .

إلا أنني أرى أن هذا الحديث لا يعد دليلا قوياً لصحة هذا القول :

---

١ ـ انظر : الاتقان ١ـ١٧٢ ، وتاريخ المصحف ص ١٢٢ .

وذلك لأن الإمام « الترمذي » ت ٢٧٩ هـ (١) ، وهو أحد رواته قال فيه : « إنه حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث « عوف عن يزيد الفارسي عن ابن عباس » وقد سئل « يحيى بن معين « عن » يزيد الفارسي » فقال : « لا أعرفه » أ هـ .

ورجل هذا شأنه مجهول الحال لا ينبغي أن تكون روايته التي انفرد بها مما يعتمد عليها في هذه القضية المهمة المتعلقة بالقرآن الكريم .

- القول الثالث :

أن ترتيب السور كان باجتهاد الصحابة رضي الله عنهم .

وممن جنح إلى هذا القول كل من :

١ ـ الإمام مالك بن أنس ت ١٧٩ هـ (٢) .

---

١ ـ هو : محمد بن عيسى بن سورة السلمى ، أبو عيسى ، من أهل ترمذ على نهر جيحون ، من أئمة الحديث وحفاظه وكان يضرب به المثل في الحفظ ، له عدة مؤلفات منها : الجامع الكبير في الحديث . والشمائل النبوية ، والتاريخ والعلل في الحديث توفي بترمذ سنة ٢٧٩هـ : انظر : الأعلام ٧ـ٢١٣ ، والأنساب للسمعانى ٩٥ ، ودائرة المعارف الاسلامية ٥ـ٢٢٨ ، ووفيات الأعيان ١ـ٤٨٤ ، وميزان الاعتدال ٣ـ١١٧ ، والفهرست ص ٢٣٣ .

٢ ـ هو الامام مالك بن أنس بن مالك الأصبحى ، أبو عبد الله المدنى أحد الأئملا الأعلام ، وصاحب المذهب المشهور ، وامام دار الهجرة ، له عدة مصنفات منها « الموطأ » ت ١٧٩هـ : انظر : صفوة الصفوة ٢ـ٩٩ ، ووفيات الأعيان ١ـ١٥٥ ، وتذكرة الحفاظ ١ـ١٩١ ، وتهذيب التهذيب ٥ـ١٠ .

٢ ــ أبي بكر الباقلاني ت ٤٠٣ هـ في أحد قوليه (١) .

٣ ــ أبي الحسين أحمد بن فارس ت ٣٩٥ هـ (٢) .

ومما استدل به أصحاب هذا القول :

إن مصاحف الصحابة رضي الله عنهم كانت مختلفة في ترتيب السور .

مثال ذلك :

١ ــ إن مصحف « علي بن أبي طالب » ت ٤٠ هـ رضي الله عنه كان مرتب السور حسب ترتيب نزولها على النبي صلى الله عليه وسلم :

فكان أوله سورة العلق ، ثم المدثر ، ثم ن ، ثم المزمل ، ثم تبت ، ثم التكوير ، وهكذا إلى آخر السور المكية ، ثم السور المدنية حسب ترتيب نزولها .

٢ ــ ومصحف « عبد الله بن مسعود » ت ٣٢ هـ « وأبي بن كعب » ت ٣٠ هـ كانا مبدوؤين بسورة البقرة ، ثم النساء ، ثم آل عمران ، ثم الأنعام ، ثم الأعراف ، ثم المائدة ، وهكذا(٣) .

فلو كان ترتيب السورة توقيفياً لما اختلفت فيه المصاحف .

---

١ ــ هو : محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر ، أبوبكر الباقلانى من كبار علماء الكلام ، اشتهر بجودة الاستنباط ، وسرعة الجواب ، له الكثير من المصنفات وبخاصة في علم الكلام ت ٤٠٣ هـ : انظر : تاريخ بغداد ٥ــ٣٧٩ ، ووفيات الأعيان ١ــ٦٩ .

٢ ــ انظر : الاتقان ١ــ١٧٦ ، وتاريخ المصحف ص ١٣٠ .

٣ ــ انظر : الاتقان ١ــ١٨١ ، ومباحث في علوم القرآن ١٤٢ ، وتاريخ المصحف ص ١٢٠ .

تعقيب :

وأرى أن هذا القول مردود من ثلاثة أوجه :

الأول : إن المصاحف المذكورة كانت مرتبة قبل العرضة الأخيرة للقرآن الكريم .

وبعد العرضة الأخيرة التي استقر بها القرآن رتبت المصاحف وفقاً لمقتضاها بأمر النبي صلى الله عليه وسلم .

الوجه الثاني :

الأدلة التي قدمتها والتي تفيد أن ترتيب السور كان بأمر النبي صلى الله عليه وسلم .

الوجه الثالث :

أن « زيد بن ثابت » ت ٤٥ ﻫ رضي الله عنه – الذي أسند إليه الخليفة « عثمان بن عفان » رياسة اللجنة التي تولت كتابة المصاحف :

كان من كتاب الوحي ، وشهد العرضة الأخيرة للقرآن الكريم ، وعلم ترتيب السور من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

« زيد الذي هذه بعض صفاته لا بد أن يكون ترتيبه لسور القرآن الكريم أثناء كتابة المصاحف وفقاً لما تلقاه من النبي صلى الله عليه وسلم .

والدليل على صحة ذلك إجماع الصحابة رضي الله عنهم على العمل الذي قام به « زيد بن ثابت » ورفاقه .

(د) فإن قيل ما الحكمة من جعل القرآن سوراً ؟

أقول : قال « الزركشي » ت ٧٩٤ هـ (١) ؛ :

« الحكمة في تسوير القرآن سوراً تحقيق لكون السورة بمجردها معجزة وآية من آيات الله تعالى ، وسورت السور طوالا ، وقصاراً ، وأوساطاً تنبيهاً على أن الطول ليس من شرط الإعجاز .

فهذه سورة « الكوثر » ثلاث آيات وهي معجزة إعجاز سورة « البقرة » ثم ظهرت لذلك حكمة في التعليم ، والتدرج من السور القصار إلى الأوساط ، ثم إلى طوال ، تيسيراً من الله تعالى على عباده في حفظ كتابه ، ومدارسته فترى الطفل يفرح بإتمام السورة فرح من يحصل على شيء نفيس .

وكذلك المطيل في التلاوة يرتاح عند ختم كل سورة ارتياح المسافر إلى قطع المراحل المسماة مرحلة بعد مرحلة أخرى .

هذا إلى أن لكل سورة نمطاً مستقلا : فسورة « يوسف » تترجم عن قصته ، وسورة « براءة » تترجم عن أحوال المنافقين ، وكامن أسرارهم ، وغير ذلك » أ هـ (٢) .

---

١ ـ هو : الامام بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي أحد العلماء الأثبات ، وجهبذة من جهابذة أهل النظر ، وأرباب الاجتهاد ، ومن علماء الفقه ، والحديث ، والتفسير وأصول الدين · ولد بالقاهرة سنة ٧٤٥هـ ولم يكد يتجاوز سن الحداثة بعد أن حفظ القرآن الكريم حتى انتظم في طلب العلم ، وكان رضى الخلق ، محمود الخصال ، عذب الشمائل ، متواضعا ، له العديد من المصنفات : انظر : مقدمة البرهان ١ـ٥ ، ١٣ ، والدرر الكامنة ٣ـ٣٩٧ وشذرات الذهب ٦ـ٣٣٥ ·

٢ ـ انظر البرهان ١ـ٢٦٤ ، وتاريخ المصحف ص ١٣١ ·

وقال الزمخشري ت ٥٣٨ هـ (١) :

« من فوائد تفصيل القرآن وتقطيعه سوراً ما يلي :

إن الجنس إذا انطوت تحته أنواع وأصناف كان أحسن وأفخم من أن يكون باباً واحداً .

ومنها : أن القاريء إذا ختم سورة ، ثم أخذ في أخرى ، كان ذلك أنشط له ، وأبعث على التحصيل منه لو استمرت على الكتاب بطوله »(٢) .

(هـ) فإن قبل : هل أسماء السور توقيفية ؟

أقــول :

يرى جمهور العلماء أن أسماء جميع سور القرآن توقيفية ، حيث جعل النبي صلى الله عليه وسلم لكل سورة إسماً خاصاً بها .

وإليك بعض الأحاديث التي تدل على ذلك .

١ ـ قال صلى الله عليه وسلم :

« من قرأ هاتين الآيتين من آخر سورة « البقرة »(٣) في ليلة كفتاه »(٤) .

٢ ـ وقال صلى الله عليه وسلم :

---

١ ـ هو : محمود بن عمر بن محمد الزمخشرى ، صاحب القدم في النحو ، واللغة والتفسير ، والأدب ، له عدة مصنفات منها : تفسير الكشاف ت ٥٣٨هـ : انظر : أنباء الرواة ٣ـ٢٦٥ .

٢ ـ انظر البرهان ١ـ٢٦٥ ، وتاريخ المصحف ص ١٣١ .

٣ ـ الآيتان من قوله تعالى : « آمن الرسول » الى آخر السورة .

٤ ـ أخرجه الشيخان .

« اقرؤا الزهراوين : « البقرة وآل عمران » فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان تحاجان عن أصحابهما » الحديث(١) .

٣ ـ وقال عليه الصلاة والسلام :

« من حفظ عشر آيات من أول سورة « الكهف » عصم من الدجال » أ هـ (٢) .

٤ ـ وعن « عائشة » ت ٥٨ هـ رضي الله عنها قالت : « كان النبي صلى الله عليه وسلم لا ينام حتّى يقرأ الزمر ، وبني إسرائيل » أ هـ (٣) .

٥ ـ وقال صلى الله عليه وسلم :

« من قرأ « الدخان » في ليلة الجمعة غفر له » أ هـ (٤) .

٦ ـ وقال صلى الله عليه وسلم :

« من قرأ سورة « الواقعة » كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً » أ هـ (٥) .

---

١ ـ أخرجه مسلم .

٢ ـ رواه الترمذى .

٣ ـ ذكره ابن وهب .

٤ ـ رواه مسلم .

٥ ـ أخرجه الترمذى .

تنبيه :

اعلم أن أسماء سور القرآن الكريم تنقسم إلى قسمين :

● الأول : ما يكون للسورة اسم واحد ، وهذا القسم تعتبر التسمية فيه حينئذ توقيفية ، بناء على القول الراجح حسبما ذكرت سابقاً .

والسور ذات الاسم الواحد أربع وسبعون سورة ، وبيانها فيما يلي :

مسلسل	اسم السورة	مسلسل	اسم السورة
١	النساء	١٣	المؤمنون
٢	الأنعام	١٤	النور
٣	الأعراف	١٥	الفرقان
٤	يونس	١٦	القصص
٥	هود	١٧	العنكبوت
٦	يوسف	١٨	الروم
٧	الرعد	١٩	لقمان
٨	إبراهيم	٢٠	الأحزاب
٩	الحجر	٢١	سبأ
١٠	مريم	٢٢	الصافات
١١	الأنبياء	٢٣	ص
١٢	الحج	٢٤	الشورى

مسلسل	اسم السورة	مسلسل	اسم السورة
٢٥	الزخرف	٤٤	الإنسان
٢٦	الدخان	٤٥	المرسلات
٢٧	الأحقاف	٤٦	النازعات
٢٨	الفتح	٤٧	عبس
٢٩	الحجرات	٤٨	التكوير
٣٠	الذاريات	٤٩	الانفطار
٣١	الطور	٥٠	المطففين
٣٢	النجم	٥١	الانشقاق
٣٣	الواقعة	٥٢	البروج
٣٤	الحديد	٥٣	الطارق
٣٥	الجمعة	٥٤	الأعلى
٣٦	المنافقون	٥٥	الغاشية
٣٧	القلم	٥٦	الفجر
٣٨	الحاقة	٥٧	البلد
٣٩	نوح	٥٨	الشمس
٤٠	الجن	٥٩	الليل
٤١	المزمل	٦٠	الضحى
٤٢	المدثر	٦١	الشرح
٤٣	القيامة	٦٢	التين

مسلسل	اسم السورة	مسلسل	اسم السورة
٦٣	العلق	٦٩	التكاثر
٦٤	القدر	٧٠	العصر
٦٥	البينة	٧١	الهمزة
٦٦	الزلزلة	٧٢	الفيل
٦٧	العاديات	٧٣	قريش
٦٨	القارعة	٧٤	الكوثر

● القسم الثاني :

يكون للسورة أكثر من اسم ، وحينئذ يكون بعض الأسماء توقيفياً ، والبعض الآخر غير توقيفي .

فإن قيل : من الواضع إذا الأسماء غير التوقيفية ؟

أقول : لعله الصحابة رضي الله عنهم ، أو التابعون .

والسور التي لها أكثر من اسم جملتها أربعون سورة ، وبيانها فيما يلي :

مسلسل	اسم السورة	مسلسل	اسم السورة
١	الفاتحة	١٢	النمل
٢	البقرة	١٣	السجدة
٣	آل عمران	١٤	فاطر
٤	المائدة	١٥	يس
٥	الأنفال	١٦	الزمر
٦	براءة	١٧	غافر
٧	النحل	١٨	فصلت
٨	الإسراء	١٩	الجاثية
٩	الكهف	٢٠	محمد
١٠	طــه	٢١	ق
١١	الشعراء	٢٢	اقتربت

مسلسل	اسم السورة	مسلسل	اسم السورة
٢٣	الرحمن	٣٢	عـــم
٢٤	المجادلة	٣٣	لم يكن
٢٥	الحشر	٣٤	الماعون
٢٦	الممتحنة	٣٥	الكافرون
٢٧	الصف	٣٦	النصر
٢٨	الطلاق	٣٧	تبت
٢٩	التحريم	٣٨	الإخلاص
٣٠	الملك	٣٩	الفلق
٣١	سأل	٤٠	الناس

وهذا تفصيل القول في السور التي لها أكثر من اسم :

أولا : سورة « الفاتحة » .

سميت بأسماء متعددة ، وقد أوصلها السيوطي ت ٩١١ هـ إلى خمسة وعشرين إسماً(١) إلا أنني سأذكر هنا أرجح الأقوال في ذلك .

وإليك هذه الأسماء وبيان علة التسمية لكل منها :

١ ــ أم القرآن .

٢ ــ فاتحة الكتاب .

٣ ــ السبع المثاني .

١ ــ انظر : الاتقان ١ــ١٥ ، ١٥٥ .

فقد أخرج « ابن جرير الطبري » ت ٣١٠ هـ (١) عن « أبي هريرة » ت ٥٧ هـ رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« هي أم القرآن ، وهي الفاتحة ، وهي السبع المثاني » (٢) .

فإن قيل : لم سميت بهذه الأسماء ؟

أقول : لعلها سميت بذلك لأنه يفتتح بها كل من :

١ — المصحف .

٢ — التعليم .

٣ — القراءة في الصلاة .

وقال الماوردي ت ٤٥٠هـ (٣) :

« سميت بذلك لتقدمها ، وتأخر ما سواها تبعاً لها ، لأنها أمته ، أي تقدمته ولهذا يقال لراية الحرب : « أم » لتقدمها ، واتباع الجيش لها ، كما يقال «لمكة» : « أم القرى » لتقدمها على سائر القرى » أ هـ (٤) .

---

١ — هو : محمد بن جرير بن يزيد بن خالد ، أبو جعفر الطبرى ، كان اماما في فنون كثيرة منها : التفسير — والقراءات — والحديث — والفقه — والتاريخ ، له عدة مؤلفات ، اشهرها : جامع البيان عن تأويل القرآن ، وكتاب التاريخ ، وأخبار الرسل والملوك . ت ٣١٠ . انظر : معجم الأدباء ٦ـ٤٢٤ وطبقات المفسرين ص ٣٠ . ووفيات الأعيان ١ـ٥٧٧ .

٢ — أنظر : الاتقان ص ١٥١ .

٣ — هو : على بن محمد بن حبيب ، أبو الحسن الماوردى ، كان من كبار فقهاء الشافعية ، له العديد من المصنفات ، منها تفسيره « العيون والنكت » المعروف بتفسير الماوردى ، ت ٤٥٠هـ : انظر : وفيات الأعيان ١ـ٤١٠ ، وطبقات السبكي ٣ـ٣٠٣ .

٤ — انظر : الاتقان ١ـ١٥٢ .

وقيل : أم الشيء أصله ، وهي أصل القرآن ، لانطوائها على جميع أغراض القرآن ، وما فيه من العلوم والحكم . والله أعلم بالصواب .

٤ ـ القرآن العظيم .

٥ ـ السبع المثاني .

فقد روى « البيهقي » ت ٤٥٨هـ (١) .

عن « أبي هريرة » ت ٥٧هـ رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأم القرآن : « هي أم القرآن ، وهي السبع المثاني ، وهي القرآن العظيم » أ هـ (٢) .

فإن قيل : لم سميت بذلك ؟

أقول : لعلها سميت بذلك لاشتمالها على أصول المعاني التي في القرآن الكريم .

ولأنها سبع آيات .

وقيل : فيها سبعة آداب ، في كل آية أدب مستقل .

وأما « المثاني » فيحتمل أن يكون مشتقاً من التثنية ، لما فيها من الثناء على الله تعالى .

ويحتمل أن يكون مشتقاً من التثنية ، لأنها تثنى في كل ركعة .

---

١ ـ هو : أحمد بن الحسين بن على ، أبوبكر البيهقى ، الشافعى من أئمة الحديث ، صنف التصانيف الكثيرة ، منها : السنن الكبرى ، وشعب الايمان ، والأسماء والصفات ، ت ٤٥٨هـ : انظر : طبقات السبكي ٣ـ٣ ، وتذكرة الحفاظ ٣ـ٣٠٩ ، ووفيات الأعيان ١ـ٢٤ ، وشذرات الذهب : انظر الاتقان ١ـ١٥٢

٢ ـ انظر : الاتقان ١ـ١٥٣ .

ويقوي هذا القول ما أخرجه « ابن جرير الطبري » ت ٣١٠هـ عن « عمر ابن الخطاب » ت ٢٣هـ رضي الله عنه أنه قال : « السبع المثاني فاتحة الكتاب ، تثنى في كل ركعة » أ هـ (١) .

وقيل : لأنها نزلت مرتين : الأولى بمكة ، والثانية بالمدينة .

وقيل : على قسمين : ثناء ، ودعاء .

وقيل : لأنها كلما قرأ العبد منها آية ثناه الله بالاخبار عن فعله ، كما في الحديث (٢) .

وهذه الأسماء الخمسة المتقدمة كلها توقيفية .

وإليك بعض الأسماء غير التوقيفية :

١ — الوافية :

فقد كان « سفيان بن عيينة » ت ١٩٨هـ (٣) يسميها بهذا الإسم .

وذلك لأنها وافية بما في القرآن من المعاني .

وقال « الثعلبي » ت ٤٢٧هـ (٤) .

---

١ — انظر : الاتقان ١ـ١٥٣ .

٢ — أنظر المصدر السابق .

٣ — هو : سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالى ، أبو محمد الكوفى محدث مجمع على صحة حديثه ، وروايته ت ١٩٨هـ : أنظر : تاريخ بغداد ص ٩ـ١٧٤ ، وتهذيب التهذيب ٤ـ١١٧ .

٤ — هو : أحمد بن محمد بن ابراهيم أبو اسحاق الثعلبى النيسابورى ، العالم بالتفسير ، والقراءات ، له العديد من المصنفات ، منها تفسيره « الكشف والبيان في تفسير القرآن » ت ٤٢٧هـ : انظر : وفيات الأعيان ١ـ٢٦ ، وأنباء الرواة ١ـ١١٩ ، وغاية النهاية ١ـ١٠٠ ، وبغية الوعاة ١٥٤ انظر الاتقان ١ـ١٥٣ .

« سميت الوافية لأنها لا تقبل التنصيف ، فإن كل سورة من القرآن لو قريء نصفها في « الركعة » من الصلاة ، والنصف الثاني في الركعة الثانية لجاز . وهذا بخلاف سورة الفاتحة لأنه لا يجوز ذلك » .

انتهى مع التصرف (١) .

٢ ـ الكافية .

وقد سميت بذلك لأنها تكفي في الصلاة عن غيرها ، ولا يكفي غيرها عنها ، والله أعلم .

٣ ـ المناجاة .

وذلك لأن العبد يناجي فيها ربه بقوله :

« **إياك نعبد وإياك نستعين** » (٢) .

٤ ـ الدعاء .

وذلك لاشتمالها عليه في قوله تعالى :

« **اهدنا الصراط المستقيم** » (٣) .

٥ ـ التفويض .

وذلك لاشتمالها على تفويض العبادة لله تعالى وإخلاص العبودية له وحده دون غيره في قوله تعالى :

« **إياك نعبد وإياك نستعين** » (٤) .

---

١ ـ أنظر الاتقان ١ـ١٥٣ .
٢ ـ سورة الفاتحة ٥ .
٣ ـ سورة الفاتحة ٦ .
٤ ـ سورة الفاتحة ٥ .

ثانياً : سورة « البقرة » وقد ورد فيها العديد من الأسماء (١) .

أذكر منها ما يلي :

١ – البقرة .

وقد سميت بذلك لذكر قصة « البقرة » فيها ، وذلك ابتداء من قوله تعالى :

« **وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة »(٢) .**

٢ – سنام القرآن .

ولعلها سميت بذلك لأن سنام كل شيء أعلاه ، وسورة البقرة تعتبر أطول سورة في القرآن الكريم ، وهي مشتملة على الكثير من قواعد التوحيد والعديد من الأحكام الشرعية ، والآداب الإسلامية ، والله أعلم بالصواب .

وهذان الإسمان توقيفيان .

ومن أسمائها غير التوقيفية :

فسطاط القرآن .

فقد كان « خالد بن معدان الكلاعي » ت ١٠٤هـ :

يسميها فسطاط القرآن « وذلك لعظمها ، ولما جمع فيها من الأحكام التي لم تذكر في غيرها . (٤)

ثالثاً : سورة آل عمران .

من أسمائها التوقيفية :

---

١ – انظر : الاتقان ١ـ١٥٥ .
٢ – سورة البقرة ٦٧ .
٣ – سورة البقرة ٧٣ .
٤ – انظر الاتقان ١ـ١٥٥ .

١ ـ آل عمران .

فقد روى « سعيد بن منصور » في سننه عن « أبي عطاف عمران بن عطاف ت ١٣٠هـ قال : « اسم آل عمران في التوراة طيبة » (١) .

٢ ـ الزهراء :

ففي صحيح « مسلم » ت ٢٦١هـ (٢) .

تسميتها وسورة البقرة « الزهراوين » (٣) .

رابعاً : سورة المائدة :

من أسمائها التوقيفية :

١ ـ المائدة .

ولعلها سميت بذلك لذكر قصة المائدة في قوله تعالى :

« إذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك أن ينزّل علينا مائدة من السماء »(٤) إلي قوله تعالى :

« لا أعذبه أحداً من العالمين »(٥) .

---

١ ـ أنظر الاتقان ١ـ١٥٥ .
٢ ـ هو مسلم بن الحجاج القشيرى ، أبو الحسن النيسابورى الحافظ ، صاحب الصحيح ، والتصانيف ، ت ٢٦١هـ : أنظر الفهرست ص ٣٣٦ ، وتاريخ بغداد ١٣ـ١٠٠ ، ووفيات الأعيان ٢ـ١١٩ ، وتذكرة الحفاظ ٢ـ١٥٠ .
٣ ـ انظر الاتقان ١ـ١٥٥ .
٤ ـ سورة المائدة ١١٢ .
٥ ـ سورة المائدة ١١٥ .

٢ ـ العقود .

وذلك لقول الله تعالى في أولها :

« يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود »(١) .

ومن أسمائها غير التوقيفية :

ـ المنقذة :

ولعلها سميت بذلك لأنها تنقذ من ينفذ الأحكام والأوامر التي اشتملت عليها من النار . (٢)

خامساً : سورة الأنفال :

ولعلها سميت بذلك لذكر حكم « الأنفال » فيها لقوله تعالى :

« واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسه » (٣) .

وهذا الإسم توقيفي .

ومن أسمائها غير التوقيفية :

ـ بدر .

فقد روى « سعيد بن جبير » ت ٩٥هـ (٤) .

---

١ ـ سورة المائدة ١ .

٢ ـ انظر الاتقان ١ـ١٥٥ .

٣ ـ سورة الأنفال ٤١ .

٤ ـ هو سعيد بن جبير بن هشام الأسدى بالولاء ، أبو عبد الله الكوفى ، من التابعين المشهورين ، قتله « الحجاج ابن يوسف » بواسط شهيدا سنة ٩٥هـ : أنظر : وفيات الأعيان ١ـ٢٥٦ ، والطبقات الكبرى ٦ـ٢٥٦ ، وغاية النهاية ١ـ٣٠٥ وتهذيب التهذيب ٤ـ١١ .

قال : قلت « لابن عباس » ت ٦٨هـ .

سورة « الأنفال » فقال : « تلك سورة بدر» أ هـ (١) .

ولعلها سميت بذلك لذكر غزوة « بدر » فيها ، ابتداء من قوله تعالى :

« وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم » .

إلى آخر الآيات الواردة في ذلك (٢) .

سادساً : سورة براءة :

وهذا هو الإسم التوقيفي .

فقد قال « عكرمة » ت ١٠٥هـ (٣) .

قال « عمر بن الخطاب » ت ٢٣هـ رضي الله عنه :

ما فرغ من تنزيل « براءة » حتى ظننا أنه لا يبقى منا أحد إلا سينزل فيه أ هـ (٤) .

ومن أسمائها غير التوقيفية :

١ ـ التوبة .

وذلك لقول الله تعالى فيها :

« لقد تاب الله على النبي » الآية (٥) .

---

١ ـ أنظر : الاتقان ١ـ١٥٥ .
٢ ـ سورة الأنفال ـ٧ فما بعدها .
٣ ـ هو : عكرمة مولى ابن عباس ، البربرى ، أبو عبد الله المدنى ، كان من أعلم التابعين بتفسير القرآن ت ١٠٥هـ : أنظر : الطبقات الكبرى ٥ـ٢٨٧ ، وميزان الاعتدال ـ٢٠٨٢ وغاية النهاية ١ـ٥١٥ ، وتهذيب التهذيب ٢ـ٢٦٣ .
٤ ـ أنظر : الاتقان ١ـ١٥٦ .
٥ ـ سورة براءة ـ١١٧ .

٢ ـ الفاضحة .

فقد أخرج « البخاري » ت ٢٥٦هـ عن « سعيد بن جبير » ت : ٩٥هـ قال قلت « لابن عباس » ت ٥٦٨هـ : سورة التوبة قال : التوبة ، هي (الفاضحة) ما زالت تنزل : ومنهم ، ومنهم « حتى ظننا ألا يبقى أحد منا إلا ذكر فيها » أهـ(١)

٣ ـ المثيرة :

فعن « قتادة » ت ١١٨هـ (٢)

قال : كانت هذه السورة يقال لها : « المثيرة » وذلك لأنها أثارت وكشفت عن مثالب المنافقين ، وعوراتهم . (٣)

وهناك أسماء أخرى غير توقيفية ذكرها السيوطي فليرجع إليها من أراد(٤)

سابعاً : سورة النحل :

وهذا هو الإسم التوقيفي .

ولعلها سميت بذلك لورود الحديث عن النحل فيها في قوله تعالى :

« وأوحى ربك إلى النحل »(٥) .

إلى قوله :

« إنَّ في ذلك لآيةً لقوم يتفكرون »(٦) .

---

١ ـ أنظر الاتقان ١ـ١٥٥ـ١٥٦ .

٢ ـ هو : قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز السدوسى ، أبو الخطاب البصرى الضرير ، الأكمه ، حافظ ، مفسر ، ومن العلماء بالمعربية ت ١١٨هـ : أنظر : صفوة الصفوة ٣ـ١٨٣ ومعجم الأدباء ٦ـ٢٠٢ ، وتذكرة الحفاظ ١ـ١١٥ ، وتهذيب التهذيب ٨ـ٣٥١ وغاية النهاية ٢ـ٢٥ .

٣ ـ أنظر الاتقان ١ـ١٥٦ .

٤ ـ أنظر الاتقان ١ـ١٥٦ .

٥ ـ سورة النحل ٦٨ .

٦ ـ سورة النحل ٦٩ .

ومن أسمائها غير التوقيفية :

ـ النعم :

فقد قال « قتادة » ت ١١٨هـ : تسمى سورة (النعم) وذلك لما عدد الله فيها من النعم على عباده . (١)

ثامناً : سورة الإسراء :

وهذا هو الإسم التوقيفي

وذلك لاشتمالها على ذكر خبر اسراء النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى :

« سبحان الذي أسرى بعبده ليلا »(٢) .

ومن أسمائها غير التوقيفية :

ـ سورة بني إسرائيل :

ولعل ذلك لاشتمالها على بعض أخبار بني إسرائيل في قوله تعالى :

« وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب » (٣) .

تاسعاً : سورة الكهف :

وهذا هو الإسم التوقيفي .

ولعل ذلك لورود اسم « الكهف » فيها مثل قوله تعالى :

« فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته » (٤) .

---

١ ـ أنظر : الاتقان ١ـ١٥٦ .
٢ ـ سورة الاسراء ١ .
٣ ـ سورة الاسراء ٤ .
٤ ـ سورة الكهف ١٦

ومن أسمائها غير التوقيفية :

ــ أصحاب الكهف :

وذلك لورود أصحاب الكهف فيها : اقرأ قول الله تعالى :

« أم حسبت أن أصحاب الكهف » (١) .

عاشراً : سورة طه :

وهذا هو الإسم التوقيفي

ولعلها سميت بذلك لأنها بدئت بهذا اللفظ

ومن أسمائها غير التوقيفية :

ــ سورة الكليم :

ولعل سبب تسميتها بذلك لذكر مكالمة الله تعالى لنبيه « موسى » عليه السلام .

اقرأ في ذلك قول الله تعالى :

« وهل أتاك حديث موسى » .

إلى آخر الآيات المرتبطة بذلك . (٢)

الحادي عشر : سورة الشعراء :

وهذا هو الإسم التوقيفي لها .

ولعلها سميت بذلك لورود لفظ « الشعراء » فيها في قوله تعالى :

« والشعراء يتبعهم الغاوون »(٣) .

---

١ ــ سورة الكهف ــ٩ أنظر : كل هذا في الاتقان ١ــ١٥٧ .
٢ ــ سورة طه ٩ .
٣ ــ سورة الشعراء ٢٢٤ .

ومن أسمائها غير التوقيفية :

١ ـ سورة الجامعة :

ولعل سبب تسميتها بذلك اشتمالها على ذكر أخبار وأحوال عدد كثير من الأمم السابقة (١) .

الثاني عشر : سورة النمل :

وهذا هو الإسم التوقيفي .

وذلك لوقوع حديث النملة فيها ، في قوله تعالى :

« **حتّى إذا أتوا على واد النمل قالت نملة** » الآيات (٢) .

ومن أسمائها غير التوقيفية .

١ ـ سورة سليمان : (٣)

وذلك لاشتمالها على قصة نبي الله « سليمان »

اقرأ قول الله تعالى :

« **وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير** » .

الآيات (٤) .

الثالث عشر : سورة السجدة :

وهذا هو اسمها التوقيفي .

---

١ ـ أنظر : الاتقان ١ـ١٥٧ .
٢ ـ سورة النمل ـ١٨
٣ ـ سورة النمل ـ١٧
٤ ـ أنظر : الاتقان ١ـ١٥٧ .

وذلك لورود لفظ السجدة فيها ، في قوله تعالى :

« إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذُكِّروا بها خروا سجداً »(١) .

ومن أسمائها غير التوقيفية :

- سورة المضاجع :

وذلك لورود لفظ المضاجع فيها ، اقرأ قول الله تعالى :

« تتجافى جنوبهم عن المضاجع »(٢) .

الرابع عشر : سورة فاطر :

وهذا هو الإسم التوقيفي

وذلك لورود هذا اللفظ فيها ، في قوله تعالى :

« الحمد لله فاطر السموات والأرض »(٣) .

ومن أسمائها غير التوقيفية :

- سورة الملائكة : (٤)

وذلك لاشتمالها على بعض صفات الملائكة ، اقرأ قول الله تعالى :

« جاعل الملائكة رسلا أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع »(٥) .

الخامس عشر : سورة يس :

وهذا الإسم توقيفي

وذلك لافتتاحها بهذا اللفظ . ومن أسمائها التوقيفية أيضاً :

---

١ - سورة السجدة ـ١٥
٢ - سورة السجدة ـ١٦
٣ - سورة فاطر ـ١
٤ - أنظر : الاتقان ١ـ١٥٧ .
٥ - سورة فاطر ـ١

٢ ـ « قلب القرآن »

فقد أخرج « الترمذي » من حديث (أنس) أن النبي صلى الله عليه وسلم سماها « قلب القرآن » (١)

ومن أسمائها غير التوقيفية :

١ ـ الدافعة .

٢ ـ القاضية .

وذلك لأنها تدفع عن الذي يعمل بما جاء فيها من تعاليم وأحكام وآداب «كل سوء » وتتسبب في قضاء الله تعالى لصاحبها « حاجته » (٢)

السادس عشر : سورة الزمر :

وهذا هو الإسم التوقيفي لها .

وذلك لورود هذا اللفظ فيها ، اقرأ مثلا قول الله تعالى :

« وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا »(٣) .

ومن أسمائها غير التوقيفية :

ـ سورة الغرف . (٤)

وذلك لورود هذا اللفظ فيها ، اقرأ قول الله تعالى :

« لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الأنهار »(٥) .

---

١ ـ أنظر : الاتقان ١ـ١٥٧ .
٢ ـ أنظر : الاتقان ١ـ١٥٧
٣ ـ سورة الزمر ـ٧٣
٤ ـ أنظر : الاتقان ١ـ١٥٧
٥ ـ سورة الزمر ـ٢٠

السابع عشر : سورة غافر :

وهذا هو الإسم التوقيفي .

وذلك لورود هذا اللفظ فيها . اقرأ قول الله تعالى :

« غافر الذنب وقابل التوب »(١) .

ومن أسمائها غير التوقيفية :

١ — الطول (٢)

لقول الله تعالى :

« شديد العقاب ذي الطَوْل »(٣) .

٢ — المؤمن (٤)

لقول الله تعالى :

« وقال رجل مؤمن »(٥) .

الثامن عشر : سورة فصِّلت :

وهذا هو الإسم التوقيفي .

وذلك لقول الله تعالى :

« كتاب فصِّلت آياته »(٦) .

ومن أسمائها التوقيفية :

---

١ — سورة غافر ـ٣
٢ — أنظر : الاتقان ١ـ١٥٧ .
٣ — سورةغافر ـ٣
٤ — أنظر : الاتقان ١ـ١٥٧
٥ — سورة غافر ٢٨
٦ — أنظر فصلت ـ٣

١ ـ السجدة (١)

لقول الله تعالى :

« لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن »(٢) .

التاسع عشر : سورة الجاثية :

وهذا هو الإسم التوقيفي :

لقول الله تعالى :

« وترى كل أُمة جاثية »(٣) .

ومن أسمائها غير التوقيفية :

١ ـ سورة الشريعة . (٤)

لقول الله تعالى :

« ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها »(٥) .

العشرون : سورة « محمد » صلى الله عليه وسلم :

وهذا هو الإسم التوقيفي .

لقول الله تعالى :

« والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم »(٦) .

---

١ ـ أنظر : الاتقان ١ـ١٥٧
٢ ـ أنظر فصلت ـ٣٧
٣ ـ سورة الجاثية ـ٢٨
٤ ـ أنظر : الاتقان ١ـ١٥٧
٥ ـ سورة الجاثية ـ١٨
٦ ـ سورة محمد ـ٢

ومن أسمائها غير التوقيفية :

– سورة القتال (١) .

وذلك لاشتمالها على قتال الكفار .

اقرأ قول الله تعالى :

« فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب »(٢) .

الحادي والعشرون : : سورة ق :

وهذا هو الإسم التوقيفي .

وذلك لافتتاح السورة بهذا اللفظ :

« ق والقرآن المجيد »(٣) .

ومن أسمائها غير التوقيفية :

– سورة الباسقات (٤) .

لقول الله تعالى :

« والنخلَ باسقات »(٥) .

الثاني والعشرون : سورة اقتربت :

وهذا هو الإسم التوقيفي

وذلك لافتتاحها بهذا اللفظ :

« اقتربت الساعة »(٦) .

ومن أسمائها غير التوقيفية :

---

١ – أنظر: الاتقان ١–١٥٧
٢ – سورة محمد –٤
٣ – سورة ق –١
٤ – أنظر: الاتقان ١–١٥٧
٥ – سورة ق –١٠
٦ – سورة اقتربت –١

ـ سورة القمر (١) .

وذلك لاشتمالها على ذكر حادثة انشقاق القمر .

اقرأ قول الله تعالى :

« وانشق القمر » (٢) .

الثالث والعشرون : سورة الرحمن :

وهذا هو الإسم التوقيفي

وذلك لافتتاحها بهذا اللفظ الجليل :

« الرحمن . علّم القرآن »(٣) .

ومن أسمائها التوقيفية أيضاً :

٢ ـ عروس القرآن .

فقد أخرج « البيهقي » ت ٤٥٨هـ (٤)

عن « علي بن أبي طالب » ت ٤٠هـ رضي الله عنه أنها تسمى « عروس القرآن » . (٥)

الرابع والعشرون : سورة المجادلة :

وهذا هو الإسم التوقيفي .

وذلك لاشتمالها على حادثة مجادلة « خولة بنت ثعلبة » النبي صلى الله عليه وسلم بخصوص مظاهرة زوجها منها وهو : « أوس بن الصامت » .

---

١ ـ أنظر : الاتقان ١ـ١٥٧

٢ ـ سورة اقتربت ـ١

٣ ـ سورة الرحمن ١ ، ٢

٤ ـ سبقت ترجمته .

٥ ـ أنظر : الاتقان ١ـ١٥٧

اقرأ قول الله تعالى :

« **قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها** » .

إلى آخر الآيات . (١)

ومن أسمائها غير التوقيفية :

- سورة الظهار (٢)

وذلك لأنها بينت حكم الظهار في قوله تعالى :

« **والذين يظاهرون منكم من نسائهم** » .

إلى آخر الآيات . (٣)

الخامس والعشرون : سورة الحشر :

وهذا هو الإسم التوقيفي :

وذلك لورود هذا اللفظ فيها ، في قوله تعالى :

« **هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر** »(٤) .

ومن أسمائها غير التوقيفية :

- سورة بني النضير :

فقد أخرج البخاري ت ٢٥٦هـ (٥) عن « سعيد بن جبير » ت ٩٥هـ

---

١ - سورة المجادلة -١

٢ - أنظر : الاتقان ١-١٥٧

٣ - سورة المجادلة -٢

٤ - سورة الحشر -٢

٥ - هو : محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة ، أبو عبد الله البخارى ، الحافظ له عدة مصنفات أشهرها : الجامع الصحيح ت ٢٥٦هـ : أنظر : تاريخ بغداد ٢-٤ ، ٣٦ وتذكرة الحفاظ ٢-١٢٢ وطبقات السبكى ٢-٢ ، وتهذيب التهذيب ٩-٤٧ .

قال : قلت لابن عباس ت ٦٨هـ : « سورة الحشر » قال : قل : سورة بني النضير » أ هـ (١) وبنو النضير هم المقصودون بقول الله تعالى :

« هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر »(٢) .

السادس والعشرون : سورة الممتحنة :

وهذا هو الإسم التوقيفي لها .

قال « ابن حجر العسقلاني » ت ٨٥٢هـ (٣) : « المشهور في هذه التسمية أنها بفتح الحاء على أنها صفة المرأة التي نزلت السورة بسببها .

وقد تكسر الحاء ، على أنها صفة السورة ، كما قيل لبراءة : الفاضحة »(٤).

ومن أسمائها غير التوقيفية :

– سورة المودّة .(٥)

وذلك لورود هذا اللفظ فيها في قوله تعالى :

---

١ – أنظر : الاتقان ١–١٥٨

٢ – والمراد بأول الحشر حشر بنى النضير الى الشام · أنظر : تفسير الجلالى ٤٦٣ ·

٣ – هو : أحمد بن على بن محمد الكنانى ، العسقلانى ، أبو الفضل ، من أئمة العلم والتاريخ ، أصله من (عسقلان) بفلسطين ، كان فصيح اللسان رواية للشعر ، عارفا بأيام المتقدمين له عدة مصنفات منها : الدرر الكامنة ، ولسان الميزان ، وألقاب الرواه ، وتهذيب التهذيب ، والاصابة ، توفى بمصر عام ٨٥٢هـ : أنظر : التبر المسبوك ٢٣٠ ، والضوء اللامع ٢–٣٦ ، والبدر الطالع ١–٨٧ ، ولسان الميزان –٦ ، وبدائع الزهور ٢ ، ٣٢ ·

٤ – أنظر : الاتقان ١–١٥٨

٥ – المصدر السابق ١–١٥٨ ·

« يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة »(١) .

السابع والعشرون : سورة الصَّف :

وهذا هو الإسم التوقيفي

وذلك لورود هذا اللفظ فيها في قوله تعالى :

« إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص »(٢) .

الثامن والعشرون : سورة الطلاق :

ومن أسمائها غير التوقيفية :

ــ سورة الحواريين (٣)

وذلك لورود هذا اللفظ فيها في قوله تعالى :

« كما قال عيسى ابن مريم للحواريين »(٤) .

الثامن والعشرون : سورة الطلاق :

وهذا هو الإسم التوقيفي .

ومن أسمائها غير التوقيفية

ــ سورة النساء القصرى :

كما أخرجه « البخاري » ت ٢٥٦هـ

عن « عبد الله بن مسعود » ت ٣٢هـ رضي الله عنه (٥) .

---

١ ــ سورة الممتحنة ــ١
٢ ــ سورة الصف ٤
٣ ــ أنظر : الاتقان ١ــ١٥٨
٤ ــ سورة الصف ١٤
٥ ــ أنظر : الاتقان ١ــ١٥٨

ولعل السبب في هذه التسمية اشتمال السورة على عدة أحكام متعلقـــة بالنساء .

التاسع والعشرون : سورة التحريم :

وهذا هو الإسم التوقيفي .

ولعل ذلك لأنها صدرت بحكم شرعي وهو : لما واقع النبي صلى الله عليه وسلم أمته مارية القبطية « « في بيت زوجه » « حفصة » وكانت غائبة : فشق ذلك عليها ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : هي حرام علي ، فأنزل الله تعالى قوله : « **قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم** » .

أي شرع لكم تحليلها . (١)

ومن أسمائها غير التوقيفية :

– سورة لم تحرم . (٢)

وذلك لاشتمالها على هذا اللفظ في قوله تعالى :

« **يا أيها النبي لم تحرم** »(٣) .

الثلاثون : سورة تبارك :

وهذا هو الإسم توقيفي .

وذلك لافتتاحها بهذا اللفظ : « تبارك » وقد ذكر السيوطي ت ٩١١هـ عدة أسماء أخرى توقيفية لها ، أذكر منها ما يلي :

---

١ ـ أنظر : تفسير الجلالين ٤٧٦

٢ ـ أنظر : الاتقـــان ١ـــ١٥٨

٣ ـ ســـورة التحـــريم ١

١ – سورة الملك . (١)

وذلك لاشتمالها على هذا اللفظ في قوله تعالى :

« تبارك الذي بيده المُلك »(٢) .

٢ – أخرج الترمذي ت ٢٧٩هـ

من حديث « ابن عباس » ت ٦٨هـ مرفوعاً :

« هي المانعة » هي المنجية تنجيه من عذاب القبر . أهـ (٣)

وعن « أنس بن مالك » ت ٩٣هـ (٤)

« أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سماها المنجية » أهـ (٥) .

وعن « ابن مسعود » ت ٢٢هـ رضي الله عنه .

« كنا نسميها في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم المانعة » . (٦)

الحادي والثلاثون : سورة سأل :

وهذا هو الإسم التوقيفي .

وذلك لافتتاحها بهذا اللفظ ، قال تعالى :

---

١ – أنظر : الاتقان ١–١٥٨

٢ – سورة الملك ١

٣ – أنظر : الاتقان ١–١٥٨

٤ – هو : أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد ، أبوحمزة الأنصارى الخزرجى خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن رواة الحديث المكثرين ت ٩٣هـ ، أنظر : الاصابة ١–٧١

٥ – أنظر : الاتقان ١–١٥٨

٦ – أنظر : المصدر السابق

« سأل سائل بعذاب واقع »(١) .

ومن أسمائها غير التوقيفية :

– سورة المعارج . (٢)

وذلك لوقوع هذا اللفظ فيها في قوله تعالى :

« من الله ذي المعارج »(٣) .

الثاني والثلاثون : سورة عمّ :

وهذا هو الإسم التوقيفي .

وذلك لافتتاحها بهذا اللفظ ، قال تعالى :

« عمَّ يتساءلون »(٤) .

ومن أسمائها غير التوقيفية

١ – سورة النبأ

٢ – سورة التساؤل (٥)

وذلك لاشتمالها على هذين اللفظين في قوله تعالى :

« عمَّ يتساءلون عن النبأ العظيم »(٦) .

الثالث والثلاثون : سورة لم يكن :

وهذا هو الإسم التوقيفي .

وذلك لافتتاحها بهذا اللفظ ، قال تعالى :

---

١ – سورة المعارج – ١
٢ – انظر : الاتقان ١–١٥٩
٣ – سورة المعارج – ٣
٤ – سورة عم ١ .
٥ – انظر الاتقان ١–١٥٩
٦ – سورة عم ٣ ، ٤ .

« لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين »(١) .

ومن أسمائها غير التوقيفية :

– سورة البينة : (٢)

وذلك لورود هذا اللفظ فيها . قال تعالى :

« لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة »(٣) .

الرابع والثلاثون : سورة أرأيت :

وهذا هو الإسم التوقيفي .

وذلك لافتتاحها بهذا اللفظ ، قال تعالى :

« أرأيت الذي يكذب بالدين »(٤) .

ومن أسمائها غير التوقيفية :

– سورة الدين : (٥)

وذلك لورود هذا اللفظ فيها .

الخامس والثلاثون : سورة الكافرون :

وهذا هو الإسم التوقيفي .

وذلك لورود هذا اللفظ فيها ، قال تعالى :

« قل يا أيها الكافرون »(٦) .

ومن أسمائها غير التوقيفية :

---

١ – سورة البينة ١ .
٢ – أنظر : الاتقان ١ـ١٥٩
٣ – سورة البينة ١ .
٤ – سورة الماعون ١ .
٥ – أنظر : الاتقان ١ـ١٥٩
٦ – الكافرون ٦ .

١ ـ سورة العبادة . (١)

ولعل ذلك لاشتمالها على العديد من الكلمات المشتقة من (ع ب د)

السادس والثلاثون : سورة النصر :

وهذا هو الإسم التوقيفي .

وذلك لورود هذا اللفظ فيها ، قال تعالى :

« إذا جاء نصر الله والفتح »(٢) .

ومن أسمائها غير التوقيفية :

١ ـ سورة التوديع (٣) .

ولعل ذلك لما فيها من الإيماء إلى قرب وفات النبي صلى الله عليه وسلم .

السابع والثلاثون : سورة تبت :

وهذا هو الإسم التوقيفي .

وذلك لافتتاحها بهذا اللفظ .

ومن أسمائها غير التوقيفية :

ـ سورة المسد (٤) .

وذلك لورود هذا اللفظ فيها ، قال تعالى :

« في جيدها حبل من مسد »(٥) .

---

١ ـ أنظر : الاتقان ١ـ١٥٩
٢ ـ سورة النصر ١
٣ ـ أنظر : الاتقان ١ـ١٥٩
٤ ـ أنظر : الاتقان ١ـ١٥٩
٥ ـ سورة تبت ـ٥ .

الثامن والثلاثون : سورة الإخلاص :

وهذا هو الإسم التوقيفي .

ولعل ذلك لاشتمالها على آيات ترشد العبد إلى إخلاص التوحيد لله تعالى .

ومن أسمائها غير التوقيفية :

- سورة الأساس (١) .

وذلك لاشتمالها على توحيد الله تعالى : الذي هو الأساس في جميع الأديان .

التاسع والثلاثون : سورة الفلق :

وهذا هو الإسم التوقيفي .

وذلك لورود هذا اللفظ فيها ، قال تعالى :

« قل أعوذ برب الفلق »(٢) .

الأربعون : سورة الناس :

وهذا هو الإسم التوقيفي .

وذلك لورود هذا اللفظ فيها ، قال تعالى :

« قل أعوذ برب الناس »(٣) .

ومن أسمائها غير التوقيفية :

- يقال لهما المعوذتان ، بكسر الواو (٤) .

ولعل ذلك لتضمنهما تعليم العباد ما يتعوذون منه بالله تعالى ، ويعتصمون به سبحانه من شر ما أمروا بالتعوذ منه ، والله أعلم .

---

١ - انظر : الاتقان ١-١٥٩
٢ - سورة الفلق -١ .
٣ - سورة الناس -١ .
٤ - انظر : الاتقان ١-١٥٩

ثالثا : تقسيم سور القرآن الى ما يلي :

(أ) الطــوَل(١) .

(ب) المئــين .

(ج) المثــاني .

(د) المفصل .

واليك تفصيل الكلام في ذلك :

(أ) الطـُّـول :

بالرجوع إلى أمهات المصادر وجدت العلماء متفقين على أن السور الطول سبع .

ولقد وجدتهم متفقين على ستة منها وهي : البقرة ــ آل عمران ــ النساء ــ المائدة ــ الأنعام ــ الأعراف .

واختلفوا في تعيين السورة السابعة : فذهب « سعيد بن جبير بن هشام » ت ٩٥ هـ إلى أن السورة السابعة هي سورة يونس . وذهب غيره إلى أنها

---

١ ــ الطول : بضم الطاء المشددة مع فتح الواو : جمع طولى ، كالكبر جمع وقد روى في الطول كسر الطاء الا انه قليل : أنظر البرهان للزركشى ١ــ٢٤٤ .

سورة « الأنفال وبراءة » وذلك على اعتبار أنهما سورة واحدة(١) وأرى أن القول الأول هو الراجح ، لأنه يتمشى مع العدد الإجمالي لسور القرآن الكريم وهو ١١٤ سورة .

أما القول الثاني : فبناء عليه يصبح العدد الإجمالي لسور القرآن ١١٣ سورة .

وسبق أن قررت أن هذا القول مرجوع لمخالفته جمهور العلماء .

فإن قيل : ما السبب في هذه التسمية ؟

أقول : لأن هذه السورة تعتبر أطول سور القرآن من حيث العدد الإجمالي لكل منها(٢) .

(ب) المئـــون :

هي السور التي تلي السبع الطول ، إلى آخر سورة السجدة .

ولعلها سميت بذلك لأن كل سورة منها تزيد على مائة آية أو تقاربها(٣).

(ج) المثـــاني :

هي السور التي تلي المئين ، من أول سورة الأحزاب إلى أول سورة ق ، أو أول سورة الحجرات .

وقد اختلف في سبب هذه التسمية :

---

١ – أنظر : البرهان ١–٢٤٤ ، والاتقان ١–١٧٩ ، وتاريخ المصحف –١٢٩ .

٢ – من أراد معرفة العدد الاجمالى لكل سورة فعليه الرجوع الى المصنفات المعينة بذلك مثل : بشير اليسر شرح ناظمة الزهر لفضيلة الشيخ القاضى .

٣ – أنظر : البرهان ١–٢٤٥ .

١ ـ فقال « الفراء » ت ٢٠٧ هـ (١) .

« هي السور التي آياتها أقل من مائة آية ، لأنها تثني أكثر مما تثني الطول والمئون » أ هـ .

٢ ـ وقال السيوطي ت ٩١١ هـ :

« لأنها كانت بعد المئين فهي لها ثوان ، والمئون لها أوائل » أ هـ (٢) .

(د) المفصـــل :

هي السور التي تلي المثاني إلى آخر القرآن الكريم : سورة الناس .

واختلف في أول المفصل على قولين :

١ ـ قيل : أوله سورة ق ، وقد جنح إلى ذلك الزركشي .

٢ ـ وقيل أوله سورة الحجرات ، وقد جنح إلى ذلك الإمام النووي ت ٦٧٦ هـ .

وهذا الخلاف مبني على الخلاف المتقدم في بيان آخر المثاني(٣) .

ثم إن العلماء قسموا « المفصل » ثلاثة أقسام :

١ ـ الطوال : من أول المفصل إلى أول سورة « ع م » .

٢ ـ الأوساط : من أول سورة « عم » إلى أول سورة « والضحى » .

٣ ـ القصار : من أول سورة « الضحى » إلى آخر القرآن الكريم(٤) .

---

١ ـ أنظر : الاتقـــان ١ـ١٧٩ .
٢ ـ انظـر : المصـدر السابق .
٣ ـ انظر البرهان ١ـ٢٤٥ ، والاتقان ١ـ١٨٠ .
٤ ـ أنظر الاتقان ١ـ١٨١ ، وتاريخ المصحف ـ١٣٠ .

وسمى هذا القسم بالمفصل لكثرة الفصول التي بين السور بالبسملة .

رابعا : تقسيم القرآن الى ما يلي :

(أ) العدد الإجمالي لآيات القرآن .

(ب) معنى الآية .

(جـ) فوائد معرفة الآية .

(د) الطرق التي تعرف بموجبها الآية .

(هـ) حكم ترتيب آيات القرآن .

وهذا تفصيل الكلام على هذه الأمور :

(أ) العدد الاجمالي لآيات القرآن :

هذه القضية تكفل ببيانها العلماء المشتغلون بعلم « الفواصل » أي علم عد آي القرآن .

وعلماء العدد المشهورون سبعة وهم :

١ ــ المدني الأول .

٢ ــ المدني الأخير .

٣ ــ المكي .

٤ ــ البصري .

٥ ــ الدمشقي .

٦ ــ الحمصي .

٧ ـ الكوفي .

وإليك تفصيل الكلام على ذلك :

• المدني الأول :

هو ما يرويه نافع ت ١٦٩ هـ .

عن شيخيه « أبي جعفر يزيد بن القعقاع ت ١٢٨هـ، وشيبة بن نصاح ت ١٣٠ هـ لكن اختلف أهل الكوفة والبصرة في روايته على المدنيين :

فأهل الكوفة رووه عن أهل المدينة بدون تعيين أحد منهم ، وعدد آي القرآن عندهم ٦٢١٧ آية ، ستة آلاف ومائتين وسبع عشرة آية .

وأهل البصرة رووه عن ورش .

عن نافع ، عن شيخه ، وعدد آي القرآن عندهم ٦٢١٤ آية . ستة آلاف ومائتين وأربع عشرة آية(١) .

• المدني الأخير :

هو ما يرويه إسماعيل بن جعفر عن يزيد بن القعقاع ، وشيبة بن نصاح، بواسطة « سليمان بن جماز (ت ١٧٠) و عدد آي القرآن عنده ٦٢١٤ آية ستة آلاف ومائتين وأربع عشرة آية(٢) .

• العدد المكي :

هو ما رواه الداني ت ٤٤٤ هـ بسنده إلى « عبد الله بن كثير » ت ١٢٠ هـ

---

١ ـ انظر : بشير اليسر ـ١٨ ، ١٩ ونفائس البيان ـ٦ .
٢ ـ انظر : بشير اليسر ـ١٨ ، ١٩ ونفائس البيان ـ٦ .

عن « مجاهد بن جبر » ت ١٠٤ هـ عن « عبد الله بن عباس » ت ٦٨ هـ رضي الله عنهما عن (أبي بن كعب) ت ٣٠ هـ رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعدد آي القرآن عنده ٦٢١٠ آية ستة آلاف ومائتين وعشر آيات(١).

• العدد البصري :

هو ما يرويه « عطاء بن يسار » ت ١٠٢ هـ « وعاصم الجحدري » ت ١٢٨ هـ وهو ما ينسب بعد إلى « أيوب بن المتوكل » ت ٢٠٠ هـ .

وعدد آي القرآن عنده ٦٢٠٤ آيات ، ستة آلاف ومائتين وأربع آيات(٢) .

• العدد الدمشقي :

هو ما رواه « يحيى الذماوي » عن « عبد الله بن عامر اليحصبي » ت ١١٨ هـ عن « أبي الدرداء » ت ٣٣ هـ رضي الله عنه . وينسب هذا العدد إلى عثمان ابن عفان » ن ٣٥ هـ رضي الله عنه .

وعدد الآي عنده ٦٢٢٧ آية ، ستة آلاف ومائتين وسبع وعشرون آية . وقيل : ٦٢٢٦ آية ، ستة آلاف ومائتين وست وعشرون آية(٣) .

العدد الحمصي :

ها ما أضيف إلى « شريح بن يزيد الحمصي الحضرمي » ت ٢٠٣ هـ . وعدد الآي عنده ٦٢٣٢ آية . ستة آلاف ومائتين واثنان وثلاثون آية(٤) .

---

١ ـ أنظر : بشير اليسر ـ٢١ ، ونفائس البيان ـ٧ .
٢ ـ أنظر : بشير اليسر ـ٢٠ ، وبشير اليسر ـ٧ .
٣ ـ أنظر : بشير اليسر ـ٢٠ ، ونفائس البيان ـ٧ .
٤ ـ أنظر نفائس البيان ـ٧ .

* العدد الكوفي :

هو ما يرويه « حمزة بن حبيب الزيات » ت ١٥٦ هـ ، وسفيان بن عيينه » ت ١٩٨ هـ .

عن « علي بن أبي طالب » ت ٤٠ هـ رضي الله عنه بواسطة الثقات .
وعدد آي القرآن عنده ٦٢٣٦ آية ستة آلاف ومائتين وست وثلاثون آية(١) .

وقد نظم الإمام الشاطبي ت ٥٣٨ هـ ذلك فقال :

ولما رأى الحفاظ أسلافهم عنــوا ... بها دونوها عن أولى الفضل والبر
فعن نافع عن شيبة ويزيــد أول ... المــدني إذا كل كوف به يقرى
وحمــزة مع سفيان قد أسنداه عن ... على عن أشيــاخ ثقات ذوي خبر
والآخــر إسماعيل يرويه عنهما ... بنقل ابن جماز سليمان ذي النشر
وعد عطــاء بن اليسار كعاصم ... هو الجحدري في كل ما عد للبصري
ويحيى الذماري للشـــامي وغيره ... وذو العدد المكي أبي بلا نكر(٢)

(ب) معنى الآية :

للآية في اللغة معنيان :

أحدهما : الجماعة ، يقال : جاء القوم بآيتهم أي جماعتهم .

والثاني : العلامة ، ومنه قوله تعالى : « إن آية ملكه »(٣) أي علامة ملكه .

---

١ ــ أنظر بشير اليسر ــ١٩ ، ونفائس البيان ــ٧ .
٢ ــ أنظـــر : متن ناظمة الزهر ــ٥ ، ٦ .
٣ ــ أنظر : بشير اليسر ــ٤٢ .

فنقل هذا اللفظ واستعماله إسماً للكلمات القرآنية ، أما أن يكون من المعنى الأول ، وذلك لاشتمالها على جماعة من الحروف .

أو من المعنى الثاني ، وذلك لكونها أمارة على انقطاع الكلام ، أو على صدق المخبر .

وكلا المعنيين مناسب للآية القرانية(١) .

وإلى هذين المعنيين أشار الإمام الشاطبي بقوله :

والآية من معنى الجماعة أو من الـ علامة مبناها على خير ما جدر(٢)

أما معنى الآية اصطلاحاً فهو مبني على الخلاف المتقدم في معناها اللغوي .

١ ــ فعلى تقدير كونها منقولة من المعنى الجماعة يقال : « هي طائفة من القرآن ذات مبدأ ومقطع مستغنية عما قبلها وما بعدها تحقيقاً ، أو تقديراً ، غير مشتملة على مثلها » فقولنا : « طائفة من القرآن » دخل فيه كل جماعة من حروف القرآن ، وبقولنا : « ذات مبدأ ومقطع » خرجت كلمات من القرآن ليس لها مبدأ ولا مقطع ، إذ المراد أن تكون ذات مبدأ ومقطع علم بالتوقيف مبدؤها ، ومقطعها ، وبقولنا : « مستغنية عما قبلها وما بعدها تحقيقاً » أول آية من القرآن ، وآخر آية منه ، لاستغناء الأولى عما قبلها تقديراً ، والثانية عما بعدها كذلك ، وبقولنا : « غير مشتملة على مثلها » خرجت السورة فإنها يصدق عليها أنها طائفة من القرآن ذات مبدأ ومقطع مستغنية

---

١ ــ أنظر : بشير ــ٤٣
٢ ــ أنظر : متن ناظمة الزهر ــ١١ .

عما قبلها وما بعدها ، ولكنها لما كانت مشتملة على آيات خرجت من التعريف(١) .

٢ – وعلى تقديرير أنها مأخوذة من العلامة يقال في تعريفها :

« بأنها حروف من القرآن ذات مبدأ ومقطع علم بالتوقيف من الشارع جعلت دلالة وعلامة على انقطاع الكلام ، أو على صدق المخبر بها ، أو على عجز المتحدى بها » بناء على أن التحدي يجوز بالآية الواحدة(٢) .

وقد أشار الإمام الشاطبي إلى هذين المعنيين بقوله :

فأما حروف في جماعتها غـنى   وإما حروف في دلالة من يقرى(٣)

(جـ) فوائد معرفة الآية :

لمعرفة الآية فوائد جليلة أذكر منها ما يلي :

١ – يحتاج لمعرفة الآية لصحة الصلاة ، فمن لم يكن عارفاً للآية ، لا يمكنه أن يأتي بما يصحح صلاته .

٢ – يحتاج إليها للحصول على الأجر الموعود به على قراءة عدد معين من الآيات القرآنية .

٣ – كون هذه المعرفة سبباً لنيل الأجر الموعود به على تعلم عدد معين من الآيات القرآنية .

---

١ – انظر : بشير اليسر – ٤٣ .
٢ – انظر : بشير اليسر – ٤٣ .
٣ – أنظر : متن ناظمة الزهر – ١٢ .

٤ ـ يحتاج إليها لمعرفة ما تسن قراءته بعد الفاتحة في الصلاة ، فقد قيل : لا تحصل السنة إلا بقراءة ثلاث آيات قصار ، أو آية طويلة ، ومن يرى من الفقهاء وجوب القراءة بعد الفاتحة لا يكتفي بأقل من هذا العدد .

٥ ـ اعتباره لصحة الخطبة ، فقد أوجبوا فيها قراءة آية تامة (١) .

(د) الطرق التي تعرف بموجبها الآية ، بيانها فيما يلي :

● أولا : مساواة الآية لما قبلها وما بعدها طولا ، وقصراً .

● ثانياً : مشاكلة الفاصلة لغيرها بما هو معها في السورة في الحرف الأخير منها أو فيما قبله .

● ثالثاً : الاتفاق على عد نظائرها في القرآن الكريم(٢) .

وقد أشار إلى هذه الأمور الشاطبي بقوله :

وليست رءوس الآي خافيـة على ذكي بها يهتم في غالب الأمـر
وما هن إلا في الطـوال طوالها وفي السور القصرى القصار على قدر
وكل توال في الجميـع قياسه بآخر حرف أو بمـا قبله قادر
وجاء بحـرف المـد الأكثر منهما ولا فرق بين الواو والياء في السير
وها أنا بالتمثيـل أرخى زمـامه لعلك تمطـوها ذلولا بلا وعر
كما العالمين الدين بعد الرحيم نستعين عظيـم يؤمنـون بلا كدر
سجى والضحى ترضى فآوى وما ولد كبد والبلد يولد مع الصمد البر(٣)

١ ـ انظر : نفائس البيان ـ٥ ، ٦ .
٢ ـ انظر : نفائس البيان ـ٥ .
٣ ـ انظر : متن ناظمة الزهر ـ٩ ، ١٠ .

(هـ) حكم ترتيب آيات القرآن :

لقد انعقد اجماع الأمة على أن ترتيب آيات القرآن في سورها على النحو الموجود الآن في سائر المصاحف كان بتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم عن « جبريل » عليه الصلاة والسلام ، عن رب العزة جل جلاله .

وأنه لا مجال للاجتهاد والرأي فيه (١) .

وقد استند هذا الاجماع إلى نصوص كثيرة دالة على أن ترتيب آيات القرآن توقيفي إجمالا وتفصيلا .

فمن هذه النصوص :

١ — ما أخرجه البخاري ت ٢٥٦ هـ :

عن « عبد الله بن الزبير » ت ٧٣ هـ قال : قلت « لعثمان بن عفان » ت ٣٥ هـ :

« والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهم » الآية (٢) .

نسختها الآية الأخرى (٣) فلم تكتبها أو تدعها(٤) قال يا ابن أخي لا أغير شيئاً من مكانه » أ هـ(٥) فهذا الحديث صريح في أن إثبات هذه الآية

---

١ — أنظر : الاتقان ١-١٧٢ .

٢ — سورة البقرة -٢٤٠ .

٣ — وهى قوله تعالى : « والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا » -٢٣٤ .

٤ — هذا شك من الراوى هل قال لك تكتبها ، أو قال لم تدعها أى تتركها مكتوبة مع أنها منسوخة ، وكان ابن الزبير يظن أن ما نسخ حكمه تنسخ تلاوته .

٥ — أنظر : الاتقان ١-١١٢ ، وتاريخ المصحف -١١٥ ، ١١٦

في مكانها من سورتها توقيفي ، لا يستطيع « عثمان » أن يتصرف فيه ، لأنه وجدها مكتوبة في المصحف المنقول مما كتب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يغيرها عن مكانها ، لأن هذا أمر لا مجال للرأي والاجتهاد فيه .

٢ — ومنها ما رواه مسلم ت ٢٦١ هـ :

عن « عمر بن الخطاب » ت ٢٣ هـ رضي الله عنه قال : « ما سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء أكثر مما سألته عن « الكلالة(١) حتى طعن بإصبعه في صدري وقال : تكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء » أ هـ(٢).

فهذا الحديث يدل على أن آيات السور كانت مرتبة ومعلومة الترتيب في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان معلوماً ما هو مقدم منها وما هو مؤخر .

ولذلك قال الرسول عليه الصلاة والسلام « لعمر » تكفيك آية الصيف التي في آخر النساء « فدله على موضع هذه الآية من سورتها ، وهي قوله تعالى :

« يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة »(٣) .

إلى آخر السورة .

وإنما سميت هذه الآية آية الصيف لأن نزولها كان في الصيف في سفر حجة الوداع .

٣ — ومنها ما رواه مسلم ت ٢٦١ هـ :

---

١ — الكلالة : هى من مات وليس له ولد ولا والد : أنظر : تفسير الجلالين — ٨٧ .

٢ — أنظر : الاتقان ١—١٧٣ ، وتاريخ المصحف —١١٦ .

٣ — سورة النساء —١٧٦ .

عن « أبي الدرداء » ت ٣٣ هـ مرفوعاً : من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال » أ هـ .

وفي لفظ آخر « من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف »(١) .

٤ — ومنها ما رواه البخاري ت ٢٥٦ هـ :

عن عبد الله بن مسعود ت ٣٢ هـ رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم « من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه » أ هـ (٢) .

فالحديث صريح في أن تعيين موضعهما كان بتعليم الرسول صلى الله عليه وسلم .

٥ — ومنها ما ثبت في السنن الصحيحة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في صلاته بالسور المتعددة فمن ذلك :

(أ) ما ورد في البخاري ت ٢٥٦ من قراءته عليه الصلاة والسلام سورة الأعراف في صلاة المغرب .

(ب) وروى النسائي ٣٠٣ هـ أنه قرأ سورة « قد أفلح المؤمنون » في صلاة الصبح .

(جـ) وفي مسلم قرأ سورة « الجمعة » و سورة « المنافقون » في صلاة الجمعة .

(د)وروى مسلم أيضاً أنه قرأ سورة « ق » في الخطبة(٣) إلى غير

---

١ — أنظر الاتقان ١ـ١٧٣ ، وتاريخ المصحف ـ١١٧ .
٢ — أنظر : تاريخ المصحف ـ١١٦ .
٣ — أنظر : تاريخ المصحف ـ١١٧ .

ذلك وكان عليه الصلاة والسلام يقرأ هذه السور وغيرها من باقي سور القرآن مرتبة الآيات بمشهد من الصحابة ، وقد تلقوا عنه ترتيب الآيات في سورها .

وما كان الصحابة ليرتبوا آيات القرآن ترتيباً مخالفاً لترتيب الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهم أحرص الناس على اتباع النبي عليه الصلاة والسلام .

ومن أقوال العلماء الدالة على أن ترتيب آيات القرآن كان بتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم ما يلي :

١ – قال « القاضي أبو بكر الباقلاني » ت ٤٠٣ هـ :

« ترتيب الآيات أمر واجب وحكم لازم ، فقد كان جبريل يقول : « ضعوا آية كذا في موضع كذا » أ هـ .

٢ – وقال أيضاً : « الذي نذهب إليه أن جميع القرآن الذي أنزله الله ، وأمر بإثبات رسمه ، ولم ينسخه ، ولا رفع تلاوته بعد نزوله ، هو الذي بين الدفتين الذي حواه مصحف « عثمان » وأنه لم ينقص منه شيء ، ولا زيد فيه شيء ، وأن ترتيبه ، ونظمه ثابت على ما نظمه الله تعالى ورتبه من آي السور ، لم يقدم ، من ذلك مؤخر ، ولا أخر منه مقدم ، وأن الأمة ضبطت عن النبي صلى الله عليه وسلم ترتيب آي كل سورة ومواضعها ، وعرفت مواقعها ، كما ضبطت عنه نفس القراءة ، وذات التلاوة » أ هـ (١) .

٣ – وقال ابن الحصار .. ت ٦١١ هـ (٢) .

---

١ – انظر : الاتقان : ١/١٧٥ . ، تاريخ المصحف ١١٨ ، ١١٩ .

٢ – هو على بن محمد بن محمد بن ابراهيم بن موسى . الخزرجي ، أبو الحسن الحصار الاسبيلى ، من خيرة العلماء جاور بمكة ، وبمصر ، له عدة مؤلفات في أصول الفقه والناسخ والمنسوخ ، والبيان في تنقيح البرهان . توفي بالمدينة المنورة عام ٦١١ هـ : انظر : الأعلام ١/

« ترتيب السور ووضع الآيات مواضعها إنما كان بالوحي ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ضعوا آية كذا في موضع كذا ، وقد حصل اليقين من النقل المتواتر بهذا الترتيب من تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومما أجمع الصحابة على وضعه هكذا في المصحف » أ هـ (١) .

٤ ـ وقال البغوي ٥١٠ هـ (٢) :

« إن الصحابة رضي الله عنهم جمعوا بين الدفتين القرآن الذي أنزله الله على رسوله ، من غير أن زادوا ، أو نقصوا منه شيئاً ، خوف ذهاب بعضه بذهاب حفظته ، فكتبوه كما سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من غير أن قدموا شيئاً ، أو أخروا ، أو وضعوا له ترتيباً لم يأخذوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رسول الله عليه الصلاة والسلام ، يلقن أصحابه ويعلمهم ما نزل عليه من القرآن على الترتيب الذي هو الآن في مصاحفنا بتوقيف جبريل إياه على ذلك ، وإعلامه عند نزول كل آية أن هذه الآية تكتب عقب آية كذا في سورة كذا ، فثبت أن سعي الصحابة كان في جمعه في موضع واحد لا في ترتيبه ، فإن القرآن مكتوب في اللوح المحفوظ على هذا الترتيب ، أنزله الله تعالى جملة إلى السماء الدنيا ، ثم كان ينزله مفرقاً عند الحاجة ، وترتيب النزول غير ترتيب التلاوة(٣) أ هـ .

---

١ ـ انظر الاتقان ١/

٢ ـ هو : الحسين بن مسعود بن محمد ، الملقب محيى السنة ، ابو محمد البغوى ، عالم بالتفسير ، والحديث ، والفقه ، له عدة مصنفات ، منها : معالم التنزيل في التفسير ، والتهذيب في الفقه ، وشرح السنة في الحديث ت ٥١٠هـ : انظر : وفيات الأعيان ١/١٨٢ ، وطبقات السبكى ٤/٢١٤ .

٣ ـ انظر : الاتقان ١ـ١٧٥ ، وتاريخ المصحف ـ١١٨ .

تعقيب :

لقد ثبت من هذه النصوص المتعددة ، وغيرها أن ترتيب آي كل سورة على ما هي عليه الآن في المصحف تلقاه الصحابة رضي الله عنهم ، عن رسول الله عليه الصلاة والسلام ، وتلقاه الرسول صلى الله عليه وسلم عن جبريل ، عن الله تعالى : من هذا يكون ترتيب الآيات حسبما هي عليه الآن توقيفاً لا مجال للنظر فيه ، ولا محل للرأى والاجتهاد .

ويؤخذ من هذه النصوص أيضاً أنه كما يجب ترتيب الآيات في التلاوة ، يجب ترتيبها في الكتابة ، وهذا الأمر مجمع عليه أيضاً . والله أعلم .

● فإن قيل : هل ترتيب الآيات كما هي موجودة الآن في المصاحف ، هو بعينه ترتيب النزول ؟

أو هذا ترتيب وذلك ترتيب آخر ؟

● أقول : إن ترتيب الآيات كما هي عليه الآن مغاير لترتيب النزول .

والدليل على ذلك أن الله تعالى أنزل القرآن كله إلى السماء الدنيا ، ثم أنزله على نبيه « محمد » صلى الله عليه وسلم مفرقاً في بضع وعشرين سنة ، فكانت السورة تنزل لأمر يحدث ، والآية تنزل جواباً لمستخبر . كل ذلك على حسب المصالح .

ومما لا شك فيه أن نزول الآيات كان مغايراً للكيفية التي هي عليها الآن . ومن شواهد ذلك ما يلي :

أولا : في القرآن الكريم آيات مدنية نزلت بعد الهجرة ، إلا أنها أثبتت وكتبت في سور مكية نزلت قبل الهجرة .

مثال ذلك :

١ ـ قوله تعالى في سورة الأنعام :

« قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم »(١) .

إلى آخر الآيات الثلاث ، فإن هذه الآيات قد صح النقل بأنها مدنية بعد الهجرة وقد ألحقت بسورة الأنعام وهي مكية .

٢ ـ قوله تعالى في سورة النحل :

« وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به »(٢) .

الآيات الثلاث إلى آخر السورة ، فإن هذه الآيات نزلت بعد الهجرة ، وقد ألحقت بسورة النحل وهي مكية نزلت قبل الهجرة .

ثانياً : هناك آيات مكية نزلت قبل الهجرة ، ولكنها ألحقت بسورة مدنية نزلت بعد الهجرة .

مثال ذلك :

١ ـ قوله تعالى في سور الأنفال :

« يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين »(٣) .

فقد ورد عن « عبد الله بن عباس » ت ٦٨ هـ رضي الله عنه أنها نزلت عقب إسلام « عمر بن الخطاب » ت ٢٣ هـ رضي الله عنه . ومعلوم إن إسلام

---

١ ـ سورة الأنعام ـ١٥١ .
٢ ـ سورة النحل ـ١٢٦ .
٣ ـ سورة الأنفال ـ٦٤ .

« عمر » كان بمكة بعد البعثة النبوية بقليل ، ومع كون هذه الآية مكية فقد ألحقت بسورة الأنفال وهي مدنية .

٢ — قوله تعالى في سورة البقرة : « ليس عليك هداهم »(١) إلى آخرها ، فهذه الآية نزلت قبل الهجرة وهي مكية ، إلا أنها ألحقت بسورة البقرة وهي مدنية .

ومن شواهد ذلك أيضاً :

أن بعض الآيات يكون ناسخاً للبعض الآخر ، ومما لا شك فيه أن المنسوخ يكون متقدماً في النزول على الناسخ ، إلا إنا نجد الناسخ مثبتاً في المصحف ومتقدماً على المنسوخ .

مثال ذلك :

١ — قوله تعالى في سورة البقرة :

« والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً » الآية(٢) .

فإن هذه الآية ناسخة الحكم الذي تضمنته آية أخرى في سورة البقرة أيضاً وهي قوله تعالى :

« والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهم متاعاً إلى الحول غير إخراج »(٣) الآية .

من هذا يتبين أن ترتيب التلاوة والكتابة مغاير لترتيب النزول .

---

١ — سورة البقرة ـ٢٧٢ .
٢ — سورة البقرة ـ٢٣٤ .
٣ — سورة البقرة ـ٢٤٠ .

(و) عدد كلمات القرآن :

لقد اختلف العلماء في العدد الإجمالي لكلمات القرآن الكريم .

١ ـ فقال بعضهم : « هو سبعة وسبعون ألف كلمة ، وتسعمائة وأربع وثلاثون كلمة .

٢ ـ وقال بعضهم : هو سبعة وسبعون ألف كلمة ، وأربعمائة وسبع وثلاثون كلمة .

٣ ـ وقال البعض الآخر : هو سبعة وسبعون ألف كلمة ، ومائتان وسبع وسبعون كلمة(١) .

فإن قيل : ما سبب هذا الاختلاف ؟

أقول : لعل السبب في ذلك أن بعضهم اعتبر أمثال قوله تعالى : « في السماء » كلمة واحدة ، وبعضهم اعتبرها كلمتين .

---

١ ـ انظر الاتقان ـ١٩٧ .

الفصل الثالث

كتـابة القـرآن الكريـم

وسأتحدث في هذا الفصل إن شاء الله تعالى عن القضايا الآتية :

أولا : كتابة القرآن بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم :

ويشتمل ذلك على ما يلي :

(أ) كتابة الوحي للنبي عليه الصلاة والسلام .
(ب) وسائل الكتابة في العهد النبوي .
(جـ) هل كان القرآن مجتمعاً في مصحف واحد ؟
(د) لماذا لم يكتب القرآن في مصحف واحد ؟

ثانياً : جمع القرآن في عهد « أبي بكر الصديق » رضي الله عنه :

ويشتمل على ما يأتي :

(أ) الأسباب التي جعلت « أبا بكر » يأمر بجمع القرآن .
(ب) لماذا اختار « أبو بكر » « زيداً » لجمع القرآن ؟
(جـ) طريقة زيد في جمع القرآن ، وبيان المصادر التي اعتمد عليها في ذلك .
(د) هل يعتبر هذا الأمر أمراً مستحدثاً ؟
(هـ) ما هو موقف الصحابة من صنيع أبي بكر ؟
(و) أين وضعت الصحف التي جمعها « زيد » ؟

ثالثاً : كتابة القرآن في عهد « عثمان بن عفان » رضي الله عنه :

ويشتمل ذلك على ما يلي :

(أ) الأسباب التي جعلت « عثمان » رضي الله عنه يأمر بكتابة المصاحف .
(ب) الصحابة الذين اختارهم « عثمان » لكتابة المصاحف .
(ج) قانون « عثمان » في كتابة المصاحف .
(د) عدد المصاحف التي نسخها الصحابة ، والأمصار التي أرسلت إليها هذه المصاحف .
(هـ) كيف تم ارسال المصاحف العثمانية إلى الأمصار ؟
(و) موقف الصحابة من صنيع « عثمان » .
(ز) الفرق بين الأحوال الثلاثة التي مرت بها كتابة القرآن .
(ح) هل المصاحف العثمانية مشتملة على الأحرف السبعة ؟

وإليك تفصيل الكلام على جميع هذه الفقرات حسب ترتيبها :

أولا : كتابة القرآن في العهد النبوي الشريف وما يتصل بذلك :

لقد اعتاد الكثيرون من العلماء قديماً وحديثاً أن يعنونوا لهذا المبحث بقولهم : « جمع القرآن » ثم بعد ذلك يقولون :

يطلق الجمع ويراد به أحد معنيين :

- المعنى الأول : جمعه بمعنى حفظه ، وجُمّاعُ القرآن : حفاظه .
- المعنى الثاني : جمع القرآن بمعنى كتابته .

وقد تحقق كلا المعنيين في عهده صلى الله عليه وسلم .

ولما كان المقصود في هذا المقام هو « كتابة القرآن » فقد آثرت أن أعنون به ، مخالفاً في ذلك الكثيرين من الكتاب .

ومما هو ثابت أن القرآن كان ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم فيحفظه ، ويبلغه للناس ويأمر كتاب الوحي بكتابته ، ويدلهم على موضع المكتوب من سورته فيقول لهم :

ضعوا هذه السورة بجانب تلك السورة ، وضعوا هذه الآية بإزاء تلك الآية .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعارض جبريل بالقرآن مرة في شهر رمضان من كل عام .

فلما كان العام الذي قبض فيه عليه الصلاة والسلام عارضه به مرتين .

ولم ينتقل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى إلا والقرآن كله كان مكتوباً في العصر النبوي .

بعد هذه الأسئلة والخلاصة أجد عدة أسئلة تطرح نفسها وتتطلب الإجابة عليها .

وإليك هذه الأسئلة التي ستشمل جوانب هذه القضية :

(أ) فإن قيـــل :

نريد بيان الصحابة الذين اشتهروا بكتابة القرآن بين يدي الرسول عليه الصلاة والسلام .

أقـــول :

لقد اشتهر بكتابة القرآن بين يديه صلى الله عليه وسلم الصحابة الآتية أسماؤهم :

١ ــ أبو بكر الصديق رضي الله عنه ت ١٣ هـ .
٢ ــ عمر بن الخطاب رضي الله عنه ت ٢٣ هـ .
٣ ــ عثمان بن عفان رضي الله عنه ت ٢٥ هـ .

٤ ــ علي بن أبي طالب رضي الله عنه ت ٤٠ هـ .

٥ ــ زيد بن ثابت رضي الله عنه ت ٤٥ هـ .

٦ ــ أبي بن كعب رضي الله عنه ت ٣٠ هـ .

٧ ــ معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ت ٦٠ هـ .

٨ ــ خالد بن الوليد رضي الله عنه ت ٢١ .

٩ ــ أبان بن سعيد رضي الله عنه ت ١٣ هـ .

١٠ ــ ثابت بن قيس رضي الله عنه ت ١٢ هـ .

(ب) فإن قيــل :

وما الوسائل التي كانوا يكتبون عليها في هذا العهد المبكر ؟

أقــول :

مما هو ثابت تاريخياً أن صناعة الورق لم تبدأ في الظهور إلا في عهد قريب .

لذلك فقد كان الكتّاب في العصور المتقدمة وقبل ظهور الورق يختلفون في الوسائل التي يسجلون عليها أفكارهم ، وتاريخهم ، الخ .

فمنهم من كان يستخدم في ذلك الأحجار فينقش عليها كل ما يريد ، وهذا ما تم اكتشافه في كثير من الآثار القديمة منذ آلاف السنين .

ومنهم من كان يستخدم الجلود ، أو غيرها لهذا الهدف النبيل .

أما كتّاب القرآن الكريم فإن التاريخ يحدثنا أنهم كانوا يكتبون القرآن على الوسائل الآتية :

١ ــ العسب : جمع عسيب ، وهو جريد النخل ، فكانوا يكشطون الخوص ويكتبون على الطرف العريض منه .

٢ ـ اللخاف : جمع لخفة بفتح اللام وسكون الخاء ، وهي الحجارة الرقاق .

٣ ـ الرقاع : جمع رقعة ، وقد تكون من جلد أو غيره .

٤ ـ الكرانيف : جمع كرنافة ، وهي أصول السعف الغلاظ .

٥ ـ الأكتاف : جمع كتف ، وهو عظم عريض في كتف الحيوان ، كانوا يكتبون عليه بعد أن يجف .

٦ ـ الأقتاب : جمع قتب ، وهو الخشب الذي يوضع على ظهر البعير ليركب عليه .

٧ ـ الأضلاع : جمع ضلع ، وهو عظم الجنبين .

(جـ) فإن قيـــل :

هل كان القرآن كله مجتمعاً في مصحف واحد ؟

أقـــول :

إن التاريخ يحدثنا بأن النبي صلى الله عليه وسلم لم ينتقل إلى الرفيق الأعلى إلا والقرآن كله كان مكتوباً ، غير أنه لم يكن مجتمعاً في مصحف واحد ، ولا موجوداً في مكان واحد .

بل كان مفرقاً لدى الصحابة عليهم رضوان الله . وكان الصحابة يعرضون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لديهم من القرآن حفظاً وكتابة .

(د) فإن قيـــل :

لماذا لم يكتب القرآن كله في مصحف واحد ؟

أقــول :

لم يأمر النبي عليه الصلاة والسلام بجمع القرآن في مصحف واحد لأحد أمرين :

● الأمر الأول :

إن اهتمام الصحابة إنما كان بحفظه واستظهاره عن ظهر قلب .

وقد حفظ القرآن الكريم كله عدد من الصحابة تعرضت لذكرهم بالتفصيل في الفصل الثالث من الباب الثاني ، أثناء الحديث عن مدرسة النبي صلى الله عليه وسلم .

● الأمر الثاني :

ما كان يترقبه الرسول عليه الصلاة والسلام من ورود زيادة أو ناسخ لبعض آياته . ولأن كتابته في مصحف واحد والحالة هكذا ، كان سيقضي بلا شك إلى تغيير في كل وقت .

ولهذا تأخرت كتابته وجمعه في مكان واحد إلى أن تم نزوله ، ولم يعرف ذلك إلا بوفاته عليه الصلاة والسلام .

وبهذا يفسر ما روى عن زيد بن ثابت ت ٤٥ أنه قال :

« قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن القرآن جمع في شيء » .

أي لم يكن جمع مرتب الآيات والسور في مصحف واحد .

وفي هذا المعنى يقول الخطابي ت ٣٨٨ هـ :

« إنما لم يجمع صلى الله عليه وسلم القرآن في المصحف ، لما كان يترقبه من ورود ناسخ لبعض أحكامه ، أو تلاوته ، فلما انقضى نزوله بوفاته

عليه الصلاة والسلام ، ألهم الله الخلفاء الراشدين ذلك ، وفاء بوعده الصادق بضمان حفظه على هذه الأمة فكان ابتداء ذلك على يد الصديق بمشورة عمر » أ هـ (١) .

ثانيا : جمع القرآن في عهد « أبي بكر الصديق » رضي الله عنه ، ويشتمل على ما يأتي :

(أ) فإن قيـــل :

ما الأسباب التي جعلت « أبا بكر » يأمر بجمع القرآن الكريم ؟

أقـــول :

مما هو معلوم لدى الجميع أن « أبا بكر » رضي الله عنه قام بأمر الإسلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد واجهته أحداث خطيرة ، أجلها وأعظمها ارتداد ضعاف المسلمين عن الإسلام ، وامتناع بعض القبائل العربية عن دفع الزكاة له .

أمام هذه الأمور العظيمة لم يكن أمام « أبي بكر» سوى محاربة المرتدين .

فجهز الجيوش وأوفدها لمحاربة هؤلاء المرتدين حتى يعودوا إلى حظيرة الإسلام .

وكانت غزوة « أهل اليمامة » سنة اثنتي عشرة للهجرة تضم عدداً كبيراً من حفاظ القرآن الكريم .

ويحدثنا التاريخ أنه استشهد من حفاظ القرآن في هذه الغزوة نحو سبعين

فلما بلغ « عمر بن الخطاب » رضي الله عنه ذلك الخبر هاله الأمر ،

---

١ ـ انـــظر الاتقـــان ١ـ١٦٤ .

وفزع لذلك فزعاً شديداً ، فدخل على « أبي بكر » وأخبره الخبر ، وبين له ما يخشاه من ضياع القرآن إذا كثر القتل في قراء القرآن .

واقترح على « أبي بكر » أن يعمل على جمع « القرآن » فتردد « أبو بكر » أولا ، لأنه خشى أن يكون ذلك الصنيع أمراً مستحدثاً .

وبعد نقاش طويل بينهما اقتنع « أبو بكر » بوجهة نظر « عمر » واقتنع بصواب رأيه وتجلى له وجه المصلحة العامة في ذلك .

فأرسل « أبو بكر » إلى زيد بن ثابت » يدعوه إلى جمع القرآن في مكان واحد . وقد تم اختيار « أبي بكر » « لزيد » بعد استشارة « عمر بن الخطاب » في ذلك .

فلما حضر « زيد » عرض عليه « أبو بكر » فكرة جمع القرآن ، وطلب منه أن يقوم هو بتنفيذ ها ويتولاها بنفسه .

إلا أن « زيداً » تردد في بداية الأمر ، وخشى أن يكون ذلك أمراً مستحدثاً .

ولكن بعد نقاش بين كل من « أبي بكر وعمر » من جانب « وزيد » من جانب آخر ، اقتنع « بفكرة جمع القرآن وأدرك صحتها وصوابها .

ثم شرع في تنفيذها حتى أتمها على أكمل وجه .

وفي هذا المعنى يروي البخاري ت ٢٥٦ هـ .

عن « زيد بن ثابت » ت ٤٥ هـ .

فيقول : قال « زيد بن ثابت » :

أرسل إلى « أبو بكر » مقتل أهل اليمامة ، فإذا « عمر بن الخطاب » عنده فقال « أبو بكر » :

إن « عمر » أتاني فقال : إن القتل قد استحر(١) بقراء القرآن ، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء في المواطن فيذهب كثير من القرآن ، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن .

فقلت لعمر :

كيف نفعل شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

قال « عمر » :

هو والله خير .

فلم يزل يراجعني حتّى شرح الله صدري لذلك ورأيت في ذلك الذي رأى « عمر » قال « زيد » : قال « أبو بكر » :

إنك شاب عاقل ، لا نتهمك ، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتتبع القرآن فاجمعه » .

فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل على مما أمروني به من جمع القرآن .

قلت : كيف تفعلان شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

قال : « هو والله خير » فلم يزل « أبو بكر » يراجعني حتّى شرح الله صدري للذي شرح به صدر « أبي بكر — وعمر » .

فتتبعت القرآن أجمعه من :

العسب ، واللخاف ، وصدور الرجال ، ووجدت آخر سورة التوبة

---

١ ـ استحر : أى اشتد .

مع « أبي خزيمة الأنصاري » لم أجدها مع غيره : « لقد جاءكم رسول »(١) حتى خاتمة براءة .

فكانت الصحف عند « أبي بكر » حتى توفاه الله ، ثم عند « عمر » حياته ، ثم عند « حفصة بنت عمر » أ هـ (٢) .

(ب) فإن قيـــل :

لماذا اختار « أبو بكر » « زيد بن ثابت » لجمع القرآن ؟

أقـــول :

من يقف على سيرة « زيد » العطرة يمكنه أن يعرف بسهولة الجواب على هذا السؤال .

فهو : زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصاري ، خارجة الخزرجي . كان شاباً ذكياً تعلم السريانية في تسعة عشر يوماً ، وحفظ القرآن كله عن ظهر قلب في حياة النبي عليه الصلاة والسلام ، وكان من كتاب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم مشهوراً بالصدق والعفة ، والأمانة . وتعلم ، وتفقه في الدين ، حتى أصبح رأساً بالمدينة في القضاء ، و الفتوى ، والقراءة ، والفرائض .

قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم :

« أفرض أمتي زيد بن ثابت » ت ٤٥ هـ (٣) .

---

١ ـ سورة التوبة ـ١٢٨ ، ١٢٩ ، وتاريخ المصحف ـ٤٧ ، ٤٨ ، ومباحث في علوم القرآن للشيخ مناع القطان ـ١٣٦ .

٢ ـ أنظر : الاتقان ١ـ١٦٤ ، ١٦٥ .

٣ ـ أنظر تذكرة الحفاظ ١ـ٢٩ ، والاصابة ١ـ٥٦١ ، وغاية النهاية ١ـ٢٩٦ ، وتهذيب التهذيب ٣ـ٣٩٩ .

(ج) فإن قيـــل :

نريد معرفة طريقة « زيد » في جمع القرآن مع بيان المصادر التي اعتمد عليها في ذلك .

أقـــول :

لما شرع « زيد بن ثابت » رضي الله عنه في جمع القرآن الكريم في عهد « أبي بكر » رضي الله عنه ، اعتمد في ذلك على مصدرين :

المصدر الأول :

ما كان محفوظاً في صدور الرجال ، علماً بأنه كان من حفاظه .

المصدر الثاني :

ما كان مكتوباً في عهد النبي عليه الصلاة والسلام .

وكان يستوثق من ذلك المكتوب غاية التوثيق ، حتى يتيقن أنه مما كتب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأنه مما ثبت في العرضة الأخيرة .

وأنه لم تنسخ تلاوته .

ولذلك لم يكن يقبل شيئاً من المكتوب حتى يشهد شاهدان عدلان أنه كتب أمام الرسول عليه الصلاة والسلام .

يرشد إلى ذلك ما يلي :

١ ـ أخرج ابن أبي داود ت ٣١٦هـ (١) من طريق « يحيى بن عبدالرحمن ابن حاطب » قال : قدم « عمر » فقال : من كان تلقى من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً من القرآن فليأت به ، وكانوا يكتبون ذلك في الصحف ، والألواح ، والعسب .

فكان لا يقبل من أحد شيئاً حتى يُشهد شاهدان ، وهذا يدل على أن « زيداً » كان لا يكتفي بمجرد وجوده مكتوباً حتى يشهد به من تلقاه سماعاً مع كون « زيد » كان يحفظه .

فكان يفعل ذلك مبالغة في « الاحتياط » أ هـ (٢) .

٢ ـ وأخرج ابن أبي داود أيضاً ، من طريق « هشام بن عروة » ت ١٤٦ هـ (٣) عن أبيه « أن « أبا بكر » قال « لعمر » و زيد » : اقعدا على باب المسجد ، فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه » أ هـ(٤) .

قال « ابن حجر » ت ٨٥٢ هـ .

معقباً على هذا الخبر : « وكأن المراد بالشاهدين الحفظ ، والكتابة »(٥) .

---

١ ـ هو : عبد الله بن سليمان بن الأشعث بن اسحاق ، الأزدي السجستاني ، أبوبكر بن أبي داود ، وكان من كبار حفاظ الحديث ، له عدة مصنفات ت ٣١٦هـ . أنظر : تاريخ بغداد ٩ـ٤٦٤ ، ولسان الميزان ٣ـ٢٩٣ ، وغاية النهاية ١ـ٤٢٤ .

٢ ـ أنظر الاتقان ١ـ١٦٦ ، ومباحث القرآن ـ١٢٧ ، وتاريخ المصحف ـ٤٩ .

٣ ـ هو : هشام بن عروة بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي أبو المنذر ، من التابعين ، ومن كبار العلماء وائمة الحديث ت ١٤٦هـ : أنظر : وفيات الأعيان ٢ـ٢٥٧ ، وتذكرة الحفاظ ١ـ١٣٩ .

٤ ـ أنظر : الاتقان ١ـ١٦٧ ، ومباحث في علوم القرآن ـ١٢٧ .

٥ ـ أنظر المصدرين السابقين .

وقال السخاوي ت ٦٤٣ هـ (١) :

« المراد أنهما يشهدان على أن ذلك المكتوب كتب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أو المراد أنهما يشهدان على أن تلك من الوجوه التي نزل بها القرآن » أ هـ(٢) .

وقال « أبو شامة » ت ٦٦٥ هـ (٣) :

« وكان غرضهم ألا يكتب إلا من عين ما كتب بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم لا من مجرد الحفظ ولذلك قال « زيد » في آخر سورة التوبة « لم أجدها مع غيره » .

أي لم أجدها مكتوبة مع غيره ، لأنه كان لا يكتفي بالحفظ دون الكتابة » أ هـ (٤) .

وقال السيوطي ت ٩١١ هـ :

« أو المراد أنهما يشهدان على أن ذلك مما عرض على النبي صلى الله عليه وسلم عام وفاته » أ هـ (٥) .

---

١ ـ هو : على بن محمد بن عبد الصمد الهمذانى المصرى الشافعى ، أبو الحسن عالم بالقراءات واللغة ، والتفسير والفقه ت ٦٤٣هـ : انظر : أنباء الرواة ٢ـ٣١١ ، وطبقات السبكى ٥ـ١٢٦ .

٢ ـ أنظر : الاتقان ١ـ١٦٧ ، ومباحث في علوم القرآن للشيخ مناع القطان ـ١٢٧ .

٣ ـ هو : عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم المقدسى ، المؤرخ المحدث له عدة مؤلفات منها : المرشد الوجيز الى علوم تتعلق بالكتاب العزيز ، وشرح الشاطبية في القراءات توفى سنة ٦٦٥ هـ ، أنظر : الأعلام ٤ـ٧٠ .

٤ ـ أنظر : الاتقان ١ـ١٦٧ .

٥ ـ أنظر : المصدر السابق .

(د) فإن قيـــل :

هل يعتبر جمع القرآن في عهد أبي بكر أمراً مستحدثاً ؟

أقــول :

من يمعن النظر في هذا الأمر لا يستطيع الحكم عليه بأنه من البدع المستحدثة ولا من الأمور التي ليس لها أصل من عمل الرسول عليه الصلاة والسلام .

بل يحكم عليه بأنه مستمد من القواعد التي وضعها الرسول صلى الله عليه وسلم بتشريع كتابة القرآن ، واتخاذ كتاب يكتبون له الوحي المنزل .

وفي هذا يقول الحارث المحاسبي ت ٢٤٣ هـ (١) :

« كتابة القرآن ليست بمحدثة فإنه صلى الله عليه وسلم كان يأمر بكتابته ، ولكنه كان مفرقاً في الرقاع والأكتاف ، والعسب ، فإنما أمر الصديق بنسخها من مكان إلى مكان مجتمعاً ، وكان ذلك بمنزلة أوراق وجدت في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها القرآن منتشر ، فجمعها جامع وربطها بخيط حتى لا يضيع منها شيء » أ هـ (٢) .

(هـ) فإن قيـــل :

ما هو موقف الصحابة من صنيع أبي بكر ؟

أقــول :

لقد كان الصحابة جميعاً رضوان الله عليهم مؤيدين ، وموافقين لصنيع أبي بكر هذا .

---

١ ـ هو : الحارث بن أسد المحاسبي من خيرة العلماء وله عدة مصنفات ت ٢٤٣هـ : انظر : وفيات الأعيان ١/١٢٦

٢ ـ انظر: الاتقان ١/١٦٨ وتاريخ المصحف ٥٠

والدليل على ذلك ما يلي :

أولا : لم يحدثنا التاريخ أن أحداً من الصحابة كان غير موافق لهذا الصنيع.

ثانياً : كان كل صحابي عنده شيء من القرآن يلبي الفكرة ويأتي بما كان مكتوباً عنده ويقدمه إلى « زيد بن ثابت » بنفس طيبة مطمئنة .

ثالثاً : لقد كان « عمر بن الخطاب » صاحب الفكرة و « زيد بن ثابت » هو المنفذ لها وهما صحابيان جليلان لهما وزنهما ووضعهما الاجتماعي والقيادي بين الصحابة رضوان الله عليهم .

رابعاً : أخرج « ابن أبي داود » ت ٣١٦ هـ :

عن « علي بن أبي طالب » ت ٤٠ هـ .

قوله : « أعظم الناس في المصاحف أجرا أبو بكر . رحمة الله على أبي بكر هو أول من جمع كتاب الله » أ هـ (١) .

(و) فإن قيـــل :

أين وضعت الصحف التي جمعها « زيد » وكيف كان مصيرها ؟

أقـــول :

لقد ظلت هذه الصحف التي جمع فيها القرآن في رعاية الخليفة الأول « أبي بكر الصديق » مدة خلافته .

ثم انتقلت بعده إلى رعاية الخليفة الثاني « عمر بن الخطاب » مدة خلافته .

---

١ ـ أنظـــر : الاتقـــان ١ـ١٦٥ ، وتاريخ المصـــحف ٥٠ ، ومباحث في علوم القرآن ١٢٨ .

ثم عند « حفصة » بنت « عمر » وأم المؤمنين بعد وفاة أبيها عليه رضوان الله تعالى .

وبقيت عندها إلى أن ولي « مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية » ت ٦٥ هـ . « المدينة المنورة » فطلبها منها فأبت ، فلما توفيت عليها رضوان الله عام ٤٥ هـ حضر « مروان » جنازتها ، ثم طلب « الصحف » من أخيها « عبد الله بن عمر » فبعث بها إليه ، ثم أمر « مروان » بإحراقها .

وقال : إنما فعلت هذا لأني خشيت إن طال بالناس زمان أن يرتاب في شأن هذه الصحف مرتاب .

علماً بأنها لم تحرق إلا بعد أن كتبت المصاحف في عهد « عثمان بن عفان » وكانت هذه الصحف المرجع الأصيل الذي اعتمد عليه « زيد » في كتابة المصاحف(١) .

ثالثا : كتابة القرآن في عهد « عثمان » رضي الله عنه :

ويتصل بذلك ما يلي :

(أ) الأسباب التي جعلت « عثمان » يأمر بكتابة المصاحف .

اتسعت الفتوحات الإسلامية ، وتفرق القراء في الأمصار .

وأخذ أهل كل مصر القراءة عمن وفد إليهم من الصحابة .

١ – فأهل الشام يقرءون بقراءة « أبي بن كعب » ت ٢٠ هـ

٢ – وأهل الكوفة يقرءون بقراءة « عبد الله بن مسعود » ت ٣٢ هـ .

---

١ – انظر : تاريخ المصحف ٥٠

٣ – وغيرهم يقرءون بقراءة «أبي موسى الأشعري» ت ٤٤ هـ وهكذا.

ومما هو معروف أن وجوه القراءة التي كانوا يقرءون بها كانت مختلفة وفقاً للأحرف التي نزلت على الرسول صلى الله عليه وسلم.

فكانوا إذا ضمهم مجمع أو موطن من مواطن الفتح عجب البعض من وجود هذا الاختلاف. وقد يقنع بأنها جميعاً مسندة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولكن هذا كان لا يحول دون تسرب التساؤل بين المسلمين، وبخاصة بين الذين لم يسمعوا من النبي صلى الله عليه وسلم مباشرة، القراءات القرآنية، فيدور الكلام حول فصيح هذه القراءات وأفصحها.

كما كان بعض القراء يفخر على البعض الآخر ويقول قراءتي أفصح من قراءتك، ويرد عليه الفريق الآخر بالمثل.

وهكذا كان يؤدي ذلك إلى اللجاج، وتأثيم بعضهم بعضاً، وإنكار بعضهم على بعض.

وفي سنة خمس وعشرين من الهجرة اجتمع أهل الشام، وأهل العراق في غزوة: «أرمينية» و «أذربيجان».

وكان فيمن غزاهما «حذيفة بن اليمان» ت ٣٦ هـ فرأى اختلافاً كثيراً بين المسلمين في وجوه القراءة، وسمع ما كانت تنطق به ألسنتهم من كلمات التجريح والتأثيم، فاستعظم ذلك «حذيفة» ففزع إلى «عثمان» رضي الله عنه، وأخبره بما رأى، وقال له: أدرك الناس قبل أن يختلفوا في كتابهم الذي هو أصل الشريعة، ودعامة الدين، كما اختلف اليهود والنصارى.

فأدرك «عثمان» بثاقب نظره، وحصافة رأيه أن هذه الفتنة إن لم تعالج

بالحكمة والحزم ستجر ــ لا محالة إلى أسوأ العواقب ، ففكر في علاجها علاجها قبل أن يستفحل خطرها ، ويتفاقم شرها .

فجمع أعلام الصحابة ، وذوي الرأي منهم ، وأخذوا يبحثون عن علاج لهذه الفتنة .

فأجمعوا رأيهم على أن تنسخ الصحف الأولى التي جمعها « زيد بن ثابت » عهد « أبي بكر الصديق » . في مصاحف متعددة ، ثم يرسل إلى كل مصر مصحف منهـــا يكون مرجعاً للناس عنـــد الاختلاف ، موئلا عند التنازع ، وعلى إحراق كل ما عدا هذه المصاحف ، وبذلك يستأصل دابر الخلاف وتجتمع الكلمة ، وتوحد الصفوف .

(ب) فإن قيـــل :

نريد أن نعرف الصحابة الذين انتدبهم « عثمان » للقيام بمهمة كتابة المصاحف .

أقـــول :

لقد انتدب « عثمان » رضي الله عنه للقيام بهذه المهمة الخطيرة أربعة من خيرة الصحابة ، ومن حفاظ القرآن وهم :

١ ــ زيد بن ثابت ت ٤٥ هـ رضي الله عنه ، وهو من الأنصار ، ومن كتاب الوحي للنبي صلى الله عليه وسلم ، وهو الذي قام بمهمة جمع القرآن لأول مرة زمن خلافة « أبي بكر الصديق » .

٢ ــ عبد الله بن الزبير ت ٧٣ هـ .

٣ – سعيد بن العاص ت ٥٨ هـ .

٤ – عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ت ٤٣ هـ .

وهؤلاء الثلاثة قرشيون(١) .

وهذا هو الرأي الراجح الذي عليه الجمهور(٢) .

(حـ) قانون « عثمان » والصحابة في كتابة المصاحف :

لقد اتبع كل من « عثمان بن عفان » رضي الله عنه .

والصحابة المكلفون بنسخ المصاحف الأمور الآتية أثناء كتابة المصاحف :

—أولا : اعتبار الصحف التي جمعها « زيد بن ثابت » في عهد « أبي بكر الصديق » رضي الله عنه المصدر الأساسي في هذه المهمة الخطيرة .

فقد أرسل « عثمان » إلى « حفصة » بنت « عمر » أم المؤمنين رضي الله عنها وقال لها :

أرسلي إلينا بالصحف التي عندك لننسخها ثم نردها إليك .

فما كان من « حفصة » إلا أن استجابت لذلك وأرسلت بالصحف إليهم .

— ثانياً : قال « عثمان بن عفان » للصحابة القرشيين الثلاثة : إذا اختلفتم أنتم « وزيد بن ثابت » في شيء من القرآن(٣) ، فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم .

---

١ – أنظر : مباحث في علوم القرآن للشيخ مناع القطان ١٢٩ وتاريخ المصحف ٥٢ .

٢ – وقيل : أن الصحابة الذين انتدبوا لهذه المهمة اثنا عشر رجلا من المهاجرين والأنصار ، منهم « أبى بن كعب » ت ٣٠ هـ رضى الله عنه .

٣ – أى في كيفية كتابته

ولم يحدثنا التاريخ أنهم اختلفوا في شيء إلا في كلمة « التابوت » من قوله تعالى :

« إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت » الآية (١) .

فقال « زيد » تكتب بالهاء هكذا « التابوه » وقال القرشيون الثلاثة : تكتب بتاء هكذا « التابوت » .

فرفعوا الأمر إلى « عثمان » فأمرهم أن يكتبوها بالتاء المفتوحة ، وفقاً للغة قريش .

ـــ ثالثاً : كان الكتاب لا يكتبون في المصاحف شيئاً إلا بعد أن يعرضوه على مشاهير الصحابة ، ويشهد الجميع بأنه قرآن ، وأنه لم تنسخ تلاوته ، وأنه استقر في العرضة الأخيرة .

من هذا يتبين أنهم لم يكتبوا ما نسخت تلاوته وهو ما لم يثبت في العرضة الأخيرة .

كما لم يكتبوا ما كانت روايته آحاداً .

وقد أتم الصحابة نسخ المصاحف بإشراف « عثمان » وأعلام الصحابة من المهاجرين ، والأنصار ، وقد كتبوا مصاحف متعددة(٢) وكانت هذه المصاحف متفاوته في الحذف ، والإثبات والزيادة ، والنقص ، وغير ذلك .

والهدف من ذلك أنها جعلت مشتملة على الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن الكريم ، وكانت خالية من النقط والشكل ، لأن كلا منهما لم يكن قد استحدث بعد ، وهذا مما كان يساعد على تحقيق هذا الهدف .

---

١ ــ سورة البقرة ٢٤٨ .

٢ ــ سأبين عدد المصاحف التى تم نسخها فيما بعد .

فالكلمات التي اشتملت على أكثر من قراءة ، وخلوها من النقط والشكل يجعلها محتملة لما اشتملت عليه من قراءات ، كتبوها برسم واحد في جميع المصاحف .

وذلك نحو : يعلمون بالياء – والتاء .

ويقول – بالياء – والنون – فتبينوا – فتثبتوا ، ننشزها – وننشرها .. الخ .

أما الكلمات التي ورد فيها أكثر من قراءة وتجريدها من النقط والشكل لا يجعلها محتملة لما ورد فيها من القراءات فلم يكتبوها برسم واحد في جميع المصاحف .

وإنما كتبوها في بعض المصاحف برسم يدل على قراءة ، وفي بعضها برسم آخر يدل على القراءة الأخرى ، مثال ذلك :

١ – قوله تعالى : « ووصى بها إبراهيم »(١) كتب في بعض المصاحف « ووصى » بواوين من غير ألف بينهما .

وفي البعض الآخر « وأوصى » بإثبات ألف بين الواوين .

٢ – قوله تعالى : « وسارعوا إلى مغفرة »(٢) كتب في بعض المصاحف « وسارعوا » بإثبات الواو قبل السين .

وفي البعض الآخر بدون الواو .

٣ – وقوله تعالى : « فإن الله هو الغني الحميد »(٣) كتب في بعض المصاحف « هو الغني » بإثبات لفظ هو .

---

٢ – سورة البقرة ١٣٢

١ – سورة آل عمران ١٣٣

٣ – سورة الحديد ٢٤

وفي البعض الآخر بحذف لفظ هو .

وهكذا في باقي الكلمات المماثلة لذلك(١) .

ولما أتم الصحابة نسخ المصاحف وفقاً لما سبق بيانه ، أعاد « عثمان » الصحف إلى حفصة(٢) وأرسل إلى كل أفق من الآفاق الإسلامية مصحفاً مما نسخه الصحابة(٣) ، وأمر « عثمان » بإحراق كل ما عدا المصاحف التي كتبها الصحابة .

وذلك سداً لباب الفتنة وحسماً للنزاع(٤) .

(د) فإن قيـــل :

نريد بيان عدد المصاحف التي نسخها الصحابة ، مع بيان الأمصار التي أرسلت إليها هذه المصاحف .

أقـــول :

لقد اختلف في ذلك على قولين :

● القول الأول :

---

١ – لقد تكفل بيان كل ذلك المصنفات الخاصة برسم المصــاحف مثـــل :
١ – متن مورد الظمآن في رسم القرآن للخراز .
٢ – المقنع في رسم المصاحف لأبى عمرو الدانى .

٢ – ظلت الصحت عند حفصة حتى توفاها الله تعالى ثم أخذها « مروان ابن الحكم » وأمر باحراقها .

٣ – سيأتى بيان الآفاق التى أرسلت اليها المصاحف .

٤ – لقد ثبت تاريخيا أنه لم يتم تنفيذ احـــراق كل ماعـــدا المصاحف التى نسخها الصحابة كما سيأتى بيانه .

وهو أشهرهما ، أنها ستة ، تم توزيعها كما يلي :

١ ـ مصحف أرسل إلى مكة .

٢ ـ مصحف أرسل إلى البصرة .

٣ ـ مصحف أرسل إلى الكوفة .

٤ ـ مصحف أرسل إلى الشام .

٥ ـ مصحف (ظل بالمدينة المنورة) .

٦ ـ مصحف احتفظ به « عثمان » لنفسه(١) .

● القول الثاني :

إن عدد المصاحف ثمانية ، وهي الستة المتقدمة مع زيادة مصحفين :

أحدهما أرسل إلى البحرين .

والثاني أرسل إلى اليمن(٢) .

وفي هذا يروي البخاري ت ٢٥٦ هـ .

وعن « أنس بن مالك » ت ٩٣ هـ رضي الله عنه أن « حذيفة بن اليمان » ت ٣٦ هـ رضي الله عنه قدم على « عثمان » وكان يغازي أهل الشام في فتح « أرمينية وأذربيجان » مع أهل العراق ، فأفزع « حذيفة » اختلافهم في القراءة ، فقال لـ « عثمان » :

« أدرك الأمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود ، والنصارى » .

---

١ ـ أنظـــر : تاريخ المصحف ٥٩

٢ ـ انظـــر : القرآن ٨٦ .

فأرسل إلى حفصة : أن أرسلي إلينا الصحف ننسخها في المصاحف ، ثم نردها إليك .

فأرسلت بها حفصة إلى « عثمان » فأمر زيد بن ثابت ، وعبد الله بن الزبير ، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، فنسخوها في المصاحف.

وقال « عثمان » للرهط القرشيين الثلاثة : إذا اختلفتم أنتم « وزيد ابن ثابت » في شيء من القرآن ، فاكتبوه بلسان قريش ، فإنه إنما نزل بلسانهم ففعلوا ، حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف ، رد « عثمان » الصحف إلى « حفصة » .

وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة ومصحف أن يحرق .

قال « زيد » : فقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف ، فقد كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بها ، فالتمسناها فوجدناها مع « خزيمة بن ثابت الأنصاري » ت ٣٧هـ :

« من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه »(١) .

فألحقناها في سورتها في المصحف . أ هـ (٢)

(هـ) فإن قيل :

نريد أن نعرف كيف تم إرسال المصاحف العثمانية إلى الأمصار .

أقول :

---

١ ـ سورة الأحزاب ٢٣

٢ ـ أنظر : الاتقان ١ـ١٧٠ ، وتاريخ المصحف ٥٦ ومباحث في علوم القرآن ١٢٩ .

بما أن نقل القرآن الكريم يعتمد على التلقي والأخذ من أفواه الشيوخ : ثقة عن ثقة ، وإماماً عن إمام ، حتّى يوصل السند بالنبي صلى الله عليه وسلم

وهذاهوالمعبر عنه « بصحة السند » وهوأحد شروط القراءةالصحيحة(١) .

لهذا لما رأى « عثمان بن عفان » رضي الله عنه إرسال المصاحف إلى الأمصار أرسل مع كل مصحف أحد الأئمة القراء الخيار العدول .

مع ملاحظة أن تكون قراءته موافقة لخط المصحف :

١ ـ فأمر « زيد بن ثابت » أن يقريء بالمصحف المدني .

٢ ـ وبعث « عبد الله بن السائب » ت ٧٠هـ مع المصحف المكي .

٣ ـ « والمغيرة بن شهاب » ت ٩١هـ مع المصحف الشامي .

٤ ـ « وأبا عبد الرحمن السلمي » ت ٧٣هـ مع المصحف الكوفي .

٥ ـ « وعامر بن قيس » مع المصحف البصري (٢)

(و) فإن قيل :

نريد أن نعرف موقف الصحابة من صنيع « عثمان » رضي الله عنه .

أقول :

ان « عثمان » رضي الله عنه قبل أن يشكل لجنة من خيرة الصحابة ، وحفاظ القرآن ، ويعهد إليها بنسخ المصاحف ، وكتابتها على الكيفية التي سبق بيانها

---

١ ـ والشرطان الآخران همـــا :
الأول : أن تكون القراءة موافقة للقواعد النحوية .
والثانى : أن تكون القراءة موافقة لرسم أحد المصاحف العثمانية .

٢ ـ أنظر : تاريخ المصحف ٦٠

لم ينفرد بهذا العمل وحده ، بل جمع مشاهير الصحابة وتشاور معهم في معالجة الفتنة التي كانت سبباً في هذا العمل الجليل .

وهذا أشبه ما يكون بالمؤتمرات العامة التي يدعى إليها أهل الخبرة ، ورجاحة العقل ، وذلك أخذاً بمبدأ الشورى ، وعملا بقوله تعالى :

« وشاورهم في الأمر »(١) .

وكانت نتيجة هذا المؤتمر هي العمل على نسخ المصاحف .

من هذا يظهر بجلاء أن « عثمان » إنما كان منفذاً لقرار اتخذه جماهير صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخيرتهم ، ما دام الأمر كذلك لا يتصور عاقل ولا مفكر أن يكون وراء ذلك سوى الرضا ، والقبول والتأييد ، والإجماع

ومن يقول بغير ذلك يعتبر غير منصف ، ويعتبر قوله مردوداً عليه ولا قيمة له . لأنه لم يقف على حقائق الأمور .

وفي هذا يقول « علي بن أبي طالب » ٤٠هـ رضي الله عنه :

« لا تقولوا في عثمان ، إلا خيرا ، فو الله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا عن ملأ منا .

قال : ما تقولون في هذه القراءة ؟

فقد بلغني أن بعضهم يقول :

ان قراءتي خير من قراءتك ، وهذا يكاد يكون كفرا .

---

١ ــ سورة آل عمران ١٥٩

قلنا : فما ترى ؟ قال : أرى أن يجمع الناس على مصحف واحد فلا تكون فرقة ولا اختلاف ، قلنا : نعم ما رأيت » (١)

أما عامة المسلمين من أهل الأمصار والأقاليم ، فقد وقفوا من هذا العمل موقف الرضا ، والقبول ، والتأييد أيضاً .

وذلك لأنهم علموا أن كتابة هذه المصاحف لم تكن عملا فردياً ، استقل به « عثمان » وحده .

وإنما هو عمل تم بإجماع من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين قال فيهم النبي عليه الصلاة والسلام :

١ — « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ » .

٢ — وقال : « أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » (٢) .

لذلك فقد تلقوا هذه المصاحف بالرضا والقبول ، وجعلوها مصدرهم الوحيد يقتدون بها ، ويقرؤون بما جاء فيها :

(ز) فإن قيل :

مما سبق تبين لنا أن القرآن الكريم مر بأحوال ثلاثة :

— الحالة الأولى : كتابته في العهد النبوي .

— الحالة الثانية : جمعه في عهد « أبي بكر الصديق » .

---

١ ـ أخرجه ابن أبى داود بسند صحيح : أنظر : الاتقان ١ـ١٧٩ وتاريخ المصحف ٦١

٢ ـ أنظر : تاريخ المصحف ٦١

ـــ الحالة الثالثة : كتابته في عهد « عثمان بن عفان » .

ونحن نريد أن نعرف الفرق بين الأحوال الثلاثة .

أقول :

من يقرأ ما تقدم بشيء من التأمل يستطيع أن يفرق بين الأحوال الثلاثة بما يلي :

● أولا : كان القرآن الكريم في العهد النبوي مكتوباً في العسب ، واللخاف ، والرقاع . الخ .

مرتب الآيات ، غير مرتب السور .

وكانت هذه الأشياء متفرقة لدى الصحابة عليهم رضوان الله تعالى بمعنى أنه لم يثبت أن القرآن كله كان موجوداً في مكان واحد .

وقد سبق بيان الحكمة في ذلك .

● ثانياً : كان جمع القرآن في عهد « أبي بكر الصديق » رضي الله عنه عبارة عن جمع الصحف التي كان مكتوباً عليها القرآن الكريم في مكان واحد وحفظها عند « أبي بكر » خشية أن يضيع شيء من القرآن الكريم بسبب موت حفظته ، وتم في هذه الحالة ترتيب سوره .

● ثالثاً : كانت كتابة القرآن في عهد « عثمان بن عفان » عبارة عن نسخ المصحف التي تم جمعها في عهد « أبي بكر » في مصاحف متعددة ، وفقاً للكيفية التي سبق تفصيلها .

وذلك كي يجتمع المسلمون على مصحف واحد .

(ح) فإن قيل :

هل كانت المصاحف العثمانية التي كتبت في عهد « عثمان » مشتملة على الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن الكريم . ؟

أقول :

هذه القضية من أهم القضايا القرآنية التي تحتاج إلى مزيد من الاهتمام ، لأنه مما يؤسف له أن بعض من لايعرفون من العلم إلا السراب ، يجرون خلف آراء باطلة ، لا وزن لها ، لأنها ينقصها الدليل الصحيح ، والبرهان الساطع ، والحجة القوية والاستنتاج السليم المبني على صحة المقدمات وعدم فساد النتائج .

وبالتتبع وجدت هناك قولين للعلماء :

أولهما :

وهو قول ضعيف باطل ، وينبغي ألا يعول عليه .

لأن اعتقاد صحته هدم للقراءات القرآنية التي نزل بها القرآن ، ووصلتنا بطريق التواتر والنقل الصحيح .

وهذا الرأي يتلخص في أن المصاحف العثمانية ليس فيها سوى حرف واحد من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ، وهو حرف « قريش » والذي ذهب إلى ذلك قلة أمثال :

١ — « ابن التين » (١)

---

١ — لقد بحثت في العديد من كتب التراجم كي أقف على ترجمة لابن التين ، ولكن دون جدوى فلم أحظ برغبتي ، وهذا ان دل على شيء فانما يدل على أن « ابن التين » كان من الشخصيات غير المشهورة بين العلماء ، ويكفي ذلك دليلا على عدم رجاحة قوله وعدم التعويل عليه .

٢ — « الحارث المحاسبي » ت ٢٤٣ هـ

وحجتهم في ذلك :

قول « عثمان بن عفان » للرهط القرشيين : « إذا اختلفتم — أنتم وزيد ابن ثابت — فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم » .

ثم قالوا :

« وأما باقي الأحرف التي نزل عليها القرآن فإنما أنزلت في ابتداء الأمر في صدر الإسلام للتيسير على الأمة ، ورفع الحرج والمشقة عنها ، في قراءة كتاب ربها لأن إلزام جميع القبائل العربية بالتزام لغة واحدة في قراءة القرآن لم تتعودها ألسنتهم ، ولم يألفوا التكلم بها في مخاطباتهم يوقعهم في الإصر ، والعنت والمشقة ، والحرج ، فتخفيفاً على الأمة ، ورفعاً للحرج والمشقة عنها ، وتيسيراً عليها في قراءة القرآن الكريم ، أنزل القرآن في باديء الأمر على سبعة أحرف وأبيح لكل قبيلة أن تقرأه بلغتها ، إلى أن تروض لسانهم وتمرن على لهجة قريش لهجة القرآن .

فلما ذللت الألسن ، ومرنت على لغة قريش ، وأصبح النطق بكلمات القرآن سهلا ميسوراً على لسان كل قبيلة لم يكن ثم حاجة إلى هذه الأحرف واللغات وأمرت جميع القبائل أن تقرأ القرآن بلغة قريش خاصة .

يضاف إلى ذلك أن قراءة القرآن بهذه اللغات — غير لغة قريش — أصبحت مثار نزاع وخلاف بين المسلمين .

فلعدم الحاجة إلى هذه اللغات ، ولأنها كانت سبباً في إنقسام المسلمين ألغاها الخليفة عثمان حين كتابة المصاحف ، وأمر كتاب المصاحف أن يقتصروا في كتابتها على لغة واحدة ، وحرف واحد ، هي لغة قريش ، وحرف قريش .

ولنستمع إلى « ابن التين » وهو يقول في هذا المعنى :

جمع « عثمان » للقرآن كان ناسخاً له على حرف واحد من الحروف السبعة. حتّى جمع المسلمين على مصحف واحد، وحرف واحد، يقرؤون به دون ما عداه من الأحرف الستة الأخرى.

والفرق بين جمع أبي بكر، وجمع عثمان:

أن جمع أبي بكر كان لخشية أن يذهب من القرآن شيء بذهاب حملته لأنه لم يكن مجموعاً في موضع واحد.

فجمعه في صحائف، مرتباً لآيات سوره على ما وقفهم عليه النبي صلى الله عليه وسلم وجمع عثمان كان لما كثر الاختلاف في وجوه القراءات حتّى قرؤوه بلغاتهم على اتساع اللغات. فأدى ذلك بعضهم إلى تخطئة بعضه.

فخشي من تفاقم الأمر في ذلك، فنسخ تلك الصحف في مصحف واحد مرتباً لسوره.

واقتصر من سائر اللغات على لغة (قريش) محتجاً بأنه نزل بلغتهم، وإن كان قد وسع في قراءته بلغة غيرهم رفعاً للحرج والمشقة في ابتداء الأمر فرأى أن الحاجة إلى ذلك قد انتهت فاقتصر على لغة واحدة » أ هـ (١).

إنما حمل « عثمان » الناس على القراءة بوجه واحد، على اختيار وقع بينه وبين من شهده من المهاجرين، والأنصار، لما خشي الفتنة عند اختلاف أهل العراق والشام في حروف القراءات.

فأما قبل ذلك فقد كانت المصاحف بوجوه القراءات المطلقات على الحروف السبعة التّي أنزل بها القرآن. أ هـ (٢).

---

١ – انظر : مباحث في علوم القرآن للشيخ مناع القطان ١٣٣

٢ – أنظـــر : المصدر السابق .

(الرد على أصحاب هذا الرأي) :

أقول :

ان هذا الرأي يعتبر باطلا وغير مقبول جملة وتفصيلا .

والدليل على ذلك ما يلي :

● أولا : ان استدلالهم على مذهبهم الباطل بقول « عثمان » لكتاب المصاحف :

« إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش إنما نزل بلسانهم ، ففعلوا » .

لا ينبغي أن يكون حجة لهؤلاء الذين لا يحاولون فهم الأمور على وجهها الصحيح .

فعثمان رضي الله عنه لا يريد من كلمة (الاختلاف)

في قوله : (إذا اختلفتم) إلى آخره .

إلا الاختلاف من حيث الرسم والكتابة لا من حيث جوهر الألفاظ وبنية الكلمات يشهد لصحة ذلك قوله : « فاكتبوه » الخ .

إذاً يصبح معنى عبارة « عثمان رضي الله عنه » :

إذا اختلفتم أنتم وزيد في رسم كلمة ، فاكتبوها بالرسم الذي يوافق لغة « قريش » ولهجتها ، ويتعين حمل كلام « عثمان » على هذا كي يتسنى الجمع بين الأدلة والتوفيق بين النصوص .

● ثانياً : ان معنى قول « عثمان » : « فإنما نزل بلسانهم » يحتمل أمرين :

(أ) أن يكون معناه : فإنما نزل بلسانهم في باديء الأمر ، ثم أراد الله

تعالى التخفيف والتيسير على الأمة ، فأنزله بباقي الأحرف السبعة .

(ب) أو يكون معناه : « « أن معظمه نزل بلسان « قريش » لأن هذه اللغة كانت اللغة النموذجية بالنسبة لسائر اللهجات العربية ويكون ذلك من باب اطلاق الكل وإرادة البعض ، وهذا تعبير لغوي فصيح جاء به القرآن الكريم في قوله تعالى :

« **جعلوا أصابعهم في آذانهم** »(١) .

فإن المراد : جعلوا أطراف أصابعهم .

وبناء على ذلك لا يعتبر قول (عثمان) : « فإنما نزل بلسانهم » حجة لهم على دعواهم الباطلة .

القول الثاني :

ذهب جماهير العلماء إلى أن المصاحف العثمانية تعتبر متضمنة القراءات القرآنية التي تثبت في العرضة الأخيرة .

وليس معنى ذلك أن كل مصحف بمفرده كان مشتملا على جميع الأحرف السبعة .

بل المقصود أنها كانت في مجموعها مشتملة على الأحرف السبعة التي نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم .

فالأحرف السبعة منتشرة في المصاحف التي كتبت في عهد « عثمان » رضي الله عنه . (٢)

وأرى أن هذا القول هو الراجح ، وهو الذي يطمئن إليه القلب ، ويهدي إليه النظر ، وترشد إليه الأدلة الصحيحة الآتية :

---

١ ـ سورة نوح ٧
٢ ـ أنظر : تاريخ المصحف ٦٣

الدليل الأول :

أن المصاحف العثمانية تم نسخها من الصحف التي جمعها « زيد بن ثابت » في عهد « أبي بكر الصديق » رضي الله عنه .

وقد أجمع الصحابة على أن هذه الصحف قد سجل فيها ما تواتر ثبوته عن النبي صلى الله عليه وسلم من الأحرف السبعة ، واستقر في العرضة الأخيرة . ولم تنسخ تلاوته .

فالصحف التي تم جمعها في عهد « أبي بكر » تعتبر أصلا ومصدراً أساسياً للمصاحف التي كتبت في عهد « عثمان » رضي الله عنه .

الدليل الثاني :

لم يرد في خبر صحيح ولا ضعيف أن « عثمان » أمر كتاب المصاحف أن يقتصروا في كتابتها على حرف واحد ، ويلغوا الأحرف الستة الباقية .

الدليل الثالث :

من يتتبع المصاحف العثمانية يجد بينها اختلافاً في مواضع كثيرة (١) . فلو كانت المصاحف مكتوبة بلغة واحدة وحرف واحد ، وهي لغة قريش ، لما كان هناك هذا الاختلاف .

فوجود الاختلاف في الرسم بين المصاحف العثمانية من الأدلة القاطعة على أنها لم تكتب بحرف واحد – كما ذهب إلى ذلك أصحاب المذهب الأول المردود – بل كتبت متضمنة للأحرف السبعة التي ثبتت في العرضة الأخيرة .

● فائدة :

---

١ – لقد تكلفت المصنفات الخاصة بالرسم العثمانى ببيان هذه الكلمات بالتفصيل فليرجع اليها من يشاء .

تتبع الإمام ابن عاشر الكلمات القرآنية التي اختلفت المصاحف العثمانية في رسمها .

وتتميماً للفائدة فقد رأيت أن أذكر الأبيات التي نظمها « عبد الواحد ابن عاشر » .

ليتبين من خلالها الكلمات القرآنية التي اختلفت المصاحف العثمانية في رسمها .

ومن المعلوم أن المصاحف العثمانية ست وهي :

الأول : الإمام ، وهو المصحف الذي احتبسه « عثمان » لنفسه .

الثاني : المدني ، وهو المصحف الذي كان بأيدي أهل المدينة .

الثالث : المكي ، وهو المصحف الذي بعث به عثمان إلى أهل مكة .

الرابع : الشامي ، وهو المصحف الذي بعث به عثمان إلى أهل الشام .

الخامس : الكوفي ، وهو المصحف الذي بعث به عثمان إلى أهل الكوفة .

السادس : البصري ، وهو المصحف الذي بعث به عثمان إلى أهل البصرة .

قال ابن عاشر :

بحمد ربه ابتدا ابن عاشر   مصلياً على النبي الحاشر (١)

هاك زوائدا لمورد تفي   بالسبع معه من خلاف المصحف

---

١ - الحاشر : من أسماء النبى صلى الله عليه وسلم . فقد جاء في الموطأ عن « محمد بن مطعم » أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « خمسة أسماء : أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر ، وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى ، وأنا العاقب » ا هـ أنظر : دليل الحيران مع تنبيه الخلان ٤٤٨ .

المدني والملكّ والإمام والكوف والبصري معاً والشام
فارسم لكل قاريء منها بما وافقه ان كان مما لزما
من سورة الحمد للأعراف اعرفا فباء ابراهيم في البكر احذفا(١)
لغير حرميّ وقالوا اتخذا بحذف شام واوه أوصى خذا
للمدنيّين وشام بالألف يقاتلون تلو حق مختلف
والملك والعراق واوا سارعوا بالزبر الشامي بباء شائع
كذا الكتاب بخلاف عنهم والشام ينصب قليلا منهم
واو يقول للعراقي فزد والمدنيان وشام يرتدد
للدار للشام بلام وهنا قد حذف الكوفي تا أنجيتنا
وشركاؤهم ليردوهم بيا للشام في محل همز أبديا
في ساحر العقود مع هود اختلف وأول بيونس كذا ألف
من سورة الأعراف حتّى مريم تذكرون الشام ياء قدما
واو ما كنا له أبينا بعكس قال بعد مفسدينا
بكل ساحر معاهل بالألف وهل يلي الحا أو قبيلها اختلف
بالألف الشام إذا نجاكم ومن مع تحتها آخر توبة بعن
للملك والذين بعد المدني والشام لا واو بها فاستبن
كلمة الثاني بيونس هما بالتا وفي العراق بالها ارتسما
وفي يسيركم ينشركم للشام قل سبحان قال قد رسم
له وللمكي ثمّ منهما منقلبا منها العراقي رسما

---

١ ـ المراد بالبكر سورة البقرة .

معا خراجا بخلاف قـد أتـى		وفخـراج للجميع أثبتا
مكنني للملك نونـا ثانيـا		والكل آتوني معـا بغير با
من مريم لصاد قـل ذا الأول		في الأنبيا للكوفي قال يجعل
في قال كم مع قال ان عكس جرى		لا واو للمكي في ألم يـر
في المؤمنين آخرى لله زد		للبصر والامام همزا اعتمد
والملك أولى نـزل الفرقان		ويأتيني النمل نـونا ثاني
وحاذرن فراهين الألـف		يثبت في بعض وبعض يحذف
في وتوكل عوض الواو بغا		للمدني والشام والواو احذفا
للملك من قال موسى وألف		لؤلؤ فاطر بخلف قد ألف
ما عملته الها لكوف نكبـا		وألف الظنونا للكل اكتبا
من صاد للختم فخلفها أتـى		في عبده تالي بكاف وبتا
كلمـة الطـول وتأمروني		أعبـد للشامي مزيد نون
أشد منهم هاءه كافا قلب		والكوف أو أن يظهر الهمز جلب
وسط مصيبة بما حذف فـاء		للمـدني والشام ثم هـاء
في تشتهي زاد وحسنا رسما		في الكوف احسانا فأحسن بهما
في خاشعا باقتربت قد اختلف		وواو ذو العصف بشامي ألف
واثر شين المنشآت الألف		وفي العراق الباء منها خلف
وياء ثاني ذي الجلال الشام زد		واوا وضم النصب في كلا وعد

واحذف ضمير الفصل من هو الغني   من مصحف الشامي كذاك المدني
وخلف قال انما أدعوا ألف   ثاني قوارير ببصر مختلف
ولا يخاف عوض الواو بفا   للمدني والشام وآلان وفي
فالحمد لله على حسن الختام   وللنبي أنهي صلاتي والسلام(١)

(تم والحمد لله)

١ ـ أنظر : متن الاعلان ٥٤ـ٥٩

صدر من هذه السلسلة

١ ـ تاملات فى سورة الفاتحة/للدكتور حسن باجودة٠

٢ ـ الجهاد فى الاسلام مراتبه ومطالبه / للاستاذ احمد جمال ٠

٣ ـ الرسول (ص) فى كتابات المستشرقين ٠٠/ للاستاذ نذير حمدان ٠

٤ ـ الاسلام الفاتح / للدكتور حسين مؤنس ٠

٥ ـ وسائل مقاومة الغزو الفكرى للعالم الاسلامى / للدكتور حسان محمد حسان ٠

٦ ـ السيرة النبوية فى القرآن الكريم / للدكتور عبد الصبور مرزوق ٠

٧ ـ التخطيط للدعوة الاسلامية / للدكتور على محمد جريشة ٠

٨ ـ صناعة الكتابة وتطورها فى العصور الاسلامية / للدكتور احمد السيد دراج ٠

٩ ـ التوعية الشاملة فى الحج/للأستاذ عبدالله بوقس ٠

١٠ ـ الفقه الاسلامى افاقه وتطوره / للدكتور عباس حسنى محمد

١١ ـ لمحات نفسية فى القرآن الكريم / للدكتور عبد الحميد محمد الهاشمى

١٢ ـ السنة فى مواجهة الأباطيل / للأستاذ محمد طاهر حكيم ٠

١٣ ـ مولود على الفطرة / للأستاذ حسين احمد حسون ٠

١٤ ـ دور المسجد فى الاسلام/للأستاذ على محمد مختار

(الفهرست)

الموضـــوع	الصفحة
(هـ) ما موقف الصحابة من صنيع أبي بكر ؟	ص ١٤٠
(و) أين وضعت الصحف التي جمعها «زيد» ؟	ص ١٤١
ثالثـــا : كتابة القرآن في عهد « عثمان بن عفان » رضى الله عنه	ص ١٤٢
(أ) الأسباب ألتي جعلت «عثمان» يأمر بكتابة المصاحف	ص ١٤٢
(ب) الصحابة الذين اختارهم «عثمان» لكتابة المصاحف	ص ١٤٤
(جـ) قانون «عثمان» في كتابة المصاحف	ص ١٤٥
(د) عدد المصاحف التي نسخها الصحابة والأمصار التي ارسلت اليها هذه المصاحف	ص ١٤٨
(هـ) كيف تم ارسال المصاحف العثمانية الى الأمصار ؟	ص ١٥٠
(و) موقف الصحابة من صنيع «عثمان»	ص ١٥١
(ز) الفرق بين الأحوال الثلاثة التي مرت بها كتابة القــرآن	ص ١٥٣
(ح) هل المصاحف العثمانية مشتملة على الأحرف السبعة	ص ١٥٥

دار الأصفهاني للطباعة بجدة
رقم الترخيص ١٨ ص - ٥/٤/١٣٩٣هـ